الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1124
2022/12/13

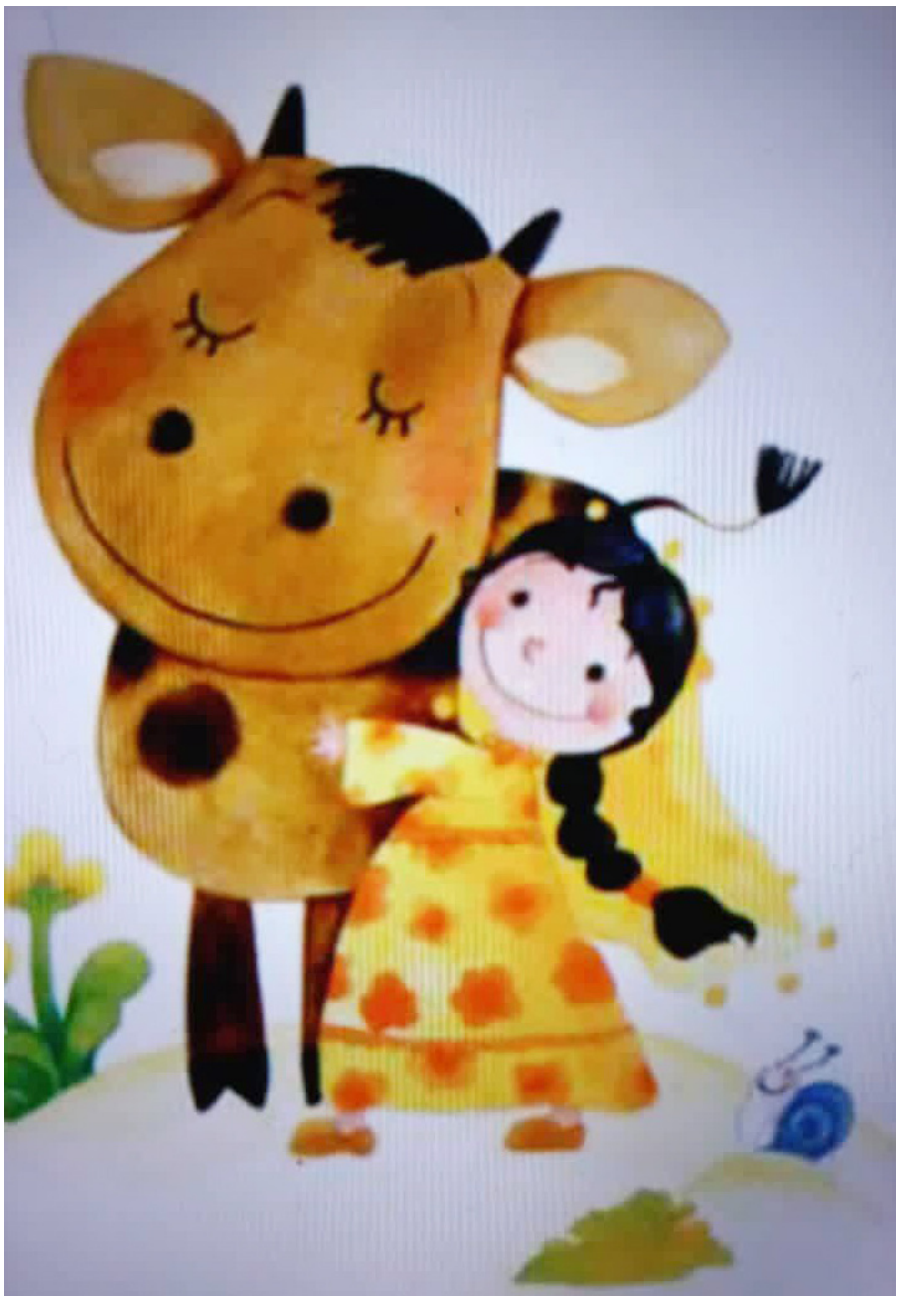

لجينة الأصيل:
رسوم الأطفال اختارتني

أول الكلام

دجل ثقافي ..

▪ ديب علي حسن

ربما يكون العنوان قاسياً بعض الشيء، ولكن لابد من صرخة، لابد من جراحة تستأصل بعضاً من ورم وانتهاكات وانتفاخات استطالت حتى كادت تأخذ بوجهها الأصيل من العمل الثقافي والإبداعي .

وليس صحيحاً دائماً أن العملة الجيدة تطرد العملة المزيفة، بل على العكس تماماً الآن العملة الطنانة الرنانة ذات البريق اللامع بغض النظر عن معدنه هي التي تسود ..

فكيف إذا كانت تساندها عوامل الدعاية التي تختار طرقاً جذابة ..

قد يقول أحد ما : هات مثالاً على هذا الدجل ...

وهذا حقه، ولنا أن نقول مثلاً : تصدر رواية أو كتاب أو مجموعة شعرية لشاعرة أو شاعر نفاجأ بعد أقل من أسبوع أنه تم الإعلان عن ندوة للاحتفاء بها ..نقاد يدبجون المديح إن استحق الإنجاز أم لا ..

لقاءات إعلامية حوارات وغير ذلك ..منشورات تهلل ..لسنا ضد الاحتفاء، ولكن هذا النفاق يحمل مقتلاً للمبدع والمشارك ..

أما في العالم الأزرق فالأمر يكاد يكون كارثة ..الكل يحمل ألقاباً من دكتوراة إلى سفير إلى عمدة ..والكل عضو فاعل في أكاديميات لا أظن أن أحداً سمع بها إلا من اخترعها ونشرها على الفيسبوك..

لسنا نحن في الإعلام بمنأى عن المسؤولية ولكن ربما .. أقول ربما نختار الأقل سوءاً ...كلنا شركاء في هذا الدجل الثقافي لكن مقص الزمن هو الحكم والجراح.

الأدب
هل يغير العالم ..؟

رواية قمر موسى

رعب أخدود
من الخيال العلمي

وجه فرنسا القبيح

مهرجان شكيب الجابري للإبداع الروائي

اختتمت فعاليات مهرجان شكيب الجابري للإبداع الروائي (دورة الأديب نادر السباعي ٢٠٢٢)، وذلك في صالة تشرين في حلب.

وقد تضمنت ندوة مهرجان شكيب الجابري عدة جلسات حوارية وقراءات نقدية لنخبة من أدباء حلب، أضاءت على نتاج الأديب السباعي القصصي، فيما قدم الجلسات كل من محمد سمية رئيس دائرة حماية الملكية الفكرية، وأحمد العبسي مدير المركز الثقافي في هنانو.

وأشار جابر الساجور مدير الثقافة بحلب في تصريح له إلى أن المهرجان يسلط الضوء على علم من أعلام حلب الذي ترك أثراً أدبياً مهماً في الساحة الثقافية محلياً وعربياً.

وبين أن المهرجان عملية نقل وتواتر ما بين الأجيال الثقافية، إضافة إلى أنه بطاقة تعريف بجيل ثقافي عاصر فترات مهمة مرت بها سورية، فكانت له انطلاقة إبداعية لتوثيق ما يمر به من أحداث من خلال الرواية والقصة، وفعل لمقاومة الظلم وفي الوقت عينه أرخ بالأدب ذاكرة للتاريخ.

واستعرض نذير جعفر رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب في حلب التقنيات الفنية مجموعة نادر السباعي (حبل المساكين)، وسلط الضوء على الناحية المضمونية والأسلوبية مبرزاً الخصائص التي تميز بها الكاتب كمواطن وأديب حلبي.

وقدم الدكتور فايز الداية نظرة نقدية حول رواية «السبع الأشهب»، مبيناً أن الرواية تتناول الحاضر والماضي في مداخلات أسلوبية جميلة حاول فيها الكاتب أن يجدد ويطور طريقة السرد الروائي بما يتماهى مع رواية» ألف ليلة وليلة «المشوقة والمثيرة للخيال، وأن نادر السباعي يعد أمثولة أدبية ثقافية تستحق أن يسلط عليها الضوء.

وتحدثت الدكتورة أمينة الحمد مدرسة في المعهد العالي للغات عن القضايا الاجتماعية والثقافية في مجموعة الكاتب القصصية» الغابة النائمة « من جوع وحرمان وانعكاسات الحب على المجتمع والفقر، ومدى ارتباط هذه القضايا بالفضاء القصصي، مشيرة إلى أن الكاتب السباعي شخصية ثقافية تستحق الاحتفاء وقراءة نتاجاته الأدبية.

كما تحدث الأديب محمد جمعة حمادة عن زوايا الرؤية في « قصص حبل المساكين»، مركزاً على الشخصيات المهمشة اجتماعياً في هذه القصص، ومنوهاً إلى أن ما يميز أدب السباعي اتساع الفضاء وانفتاح العوالم المتداخلة وتناوله للحالات الإنسانية البسيطة بكشف همومها وتطلعاتها وأمانيها.

ونوهت سهى نادر السباعي ابنة الكاتب بالمهرجان، لافتة إلى أنه فعالية حضارية ثقافية تنير العقل والقلب، مؤكدة أن والدها كان مميزاً على الصعيدين الأدبي والإنساني.

ومن الجدير ذكره أن الأديب نادر السباعي ولد في مدينة حلب ١٩٤١، ودرس في حلب، وعمل في تدريس الفلسفة وعلم الاجتماع، وله العديد من الدراسات النقدية، صدرت له مجموعات قصصية، هي (أقنعة من زجاج ١٩٨٠، نجوم بلا ضياء، ١٩٨٤، حبل المساكين، ١٩٨٨ الغابة النائمة، ١٩٩٣).

ومن رواياته التي نالت جائزة الشارقة للإبداع «السبع الأشهب».

إصدار

«المشكلة المعقدة لتوم ستوبارد» مسرحية تطرح رؤى في العلم والفلسفة والحالات الاجتماعية المتحولة والانعكاسات المعقدة التي تصيب الأبناء بعد تخلي آبائهم عنهم بحالات نفسية سيئة، إضافة إلى مواضيع اجتماعية وإنسانية.

وتطرح المسرحية التي ترجمها محمد العبد الله من خلال بطلتها هيلاري الباحثة في علم النفس رؤى جديدة في علم الأعصاب والعلاقات الاجتماعية التي ترتكز على عاطفة الأمهات والدفاع عن المعتقدات، وما تفكر فيه بطلة المسرحية من خلال تخليها عن ابنتها.

وترصد المسرحية الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب النتائج السلبية التي نتجت عن العصابات الاجتماعية وسلبيات الحاسوب، فهو لا يكترث لأي خسارة خلال استعماله، إضافة إلى الحالات السيكيولوجية في داخل كل شخص من شخصيات المسرحية التي استطاع مؤلفها أن يحركها بانفعال مؤثر.

كما يطرح المؤلف ستوبارد المعاناة التي يعيشها الأشخاص الذين يتعرضون للعزل الاجتماعي بشكل يشبه السجن بدلاً من العيش بشكل معقول، والتناقضات التي تواجه الوعي الإنساني والشعور الأخلاقي عند الأفراد.

وفي المسرحية إشارات إلى أهمية العلاقات الاجتماعية والتعاطف الذي يظهره الأطفال عندما يرون أي مشكلة أو صدمة أمامهم فيتأثرون بشكل فطري، ما يدل على بوادر الوعي ووجود الإحساس الإنساني ومن خلال هيلاري وسبايك وشخصيات أخرى يظهر الكاتب أهمية الطيبة والمحبة والوفاء.

وعن المسرحية قال الكاتب عبد الفتاح قلعجي بأنها تجسد أفكاراً علمية مثل الوعي والتعاطف وتكوين العقل والمصادفة والتجربة والاختبار، لافتاً إلى أنها جاءت أمينة لأغلب معطيات ما بعد الحداثة ومواجهة الخيانات بكل أنواعها، فهي دراما مضادة ومسرح تعبيري تترك للمتفرج مساحة واسعة للتخيل واستكمال الحدث.

درعا تحتفي بفنون الأطفال

تعددت الفعاليات التي أقيمت في المركز الثقافي بدرعا ضمن الملتقى السابع لفنون الأطفال بعنوان (الأيادي المبدعة ترسم بحروف من نور)، بالتعاون بين مديرية التربية بدرعا وفرع طلائع البعث.

وافتتح الحفل بالأغاني والأهازيج التراثية، تلاها افتتاح المعرض الفني للرسومات والمجسمات من عمل تلاميذ المدارس، وقدم تلاميذ مدرستي حطين وآذار للتعليم الأساسي حلقة أولى عروضاً فنية راقصة تعبر عن حب الوطن والاعتزاز به.

وتخلل الملتقى ندوات تحدثت عن آلية التعامل مع الأطفال وتعريفهم بهويتهم الوطنية والقومية، واختتم اللقاء بالحديث عن أهمية المتاحف وزيارتها للتعريف بحضارتنا وتاريخنا القديم لتكون حافزاً للجيل بصنع مستقبل أفضل.

غصون الحمصي عضو قيادة فرع الطلائع بدرعا، أوضحت أن الملتقى يشكل نقطة مهمة للأطفال فهو وسيلة لاكتشاف مواهبهم وإبداعاتهم الفنية في مجال الرسم والتشكيل والرقص والغناء، لافتة إلى أن إضافة ندوات إلى جانب هذه الفقرات تغني ثقافة الطفل، وتعمل على توعيته بكيفية التعامل مع ما يشاهده ويقرؤه ويسمعه.

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي
أحمد علي هلال
دلال إبراهيم
رجاء شعبان
سلمى جميل حداد
عبد الحكيم مرزوق
فاتن دعبول
فوزي الشنيور
لينا كيلاني
لمى حمدان
محمد خالد خضر
مها محفوض

لجينة الأصيل: رسوم الأطفال اختارتني

حوار فاتن دعبول

« لم أختر رسوم الأطفال، إنما هي التي اختارتني» بهذه العبارة البسيطة تعبر الفنانة التشكيلية لجينة الأصيل عن علاقتها بالأطفال، هذا العالم الذي أحبته وأعطته سنين طويلة من جهدها ووقتها وحياتها، لتقدم لهم مفهوم الجمال ومعنى فن اللوحة، ولتأخذهم عبر الفكرة واللون والخيال إلى عوالم سحرية جميلة، تغني حياتهم بالفرح والأمل، ولتغرس في نفوسهم بأننا نستطيع أن نلون الحياة كما نشاء وإن بلغت من القسوة ما بلغت.

الفنانة السورية الحائزة على إجازة في الفنون الجميلة، عمارة داخلية» في العام ١٩٦٩، والخبيرة الفنية في مديرية ثقافة الطفل، وزارة الثقافة السورية، عن مسيرتها وأهم المحطات في حياتها كان هذا اللقاء.

نقطة تحول

تقول: بدأت الرسم قبل أعرف الكتابة، وأحببت الحكايات والرسوم ما دفعني وأنا في عمر العاشرة لإصدار مجلتي الخاصة، وقد لازمني هذا الشغف بالأدب والفن حتى المرحلة الإعدادية، حين بدأ الفن يحظى باهتمامي ويأخذ حيزاً كبيراً من وقتي، لذلك كانت كلية الفنون الجميلة هي الملاذ والهدف، فانتسبت إليها باختصاص» عمارة داخلية»، وكان همي الأول بعد التخرج العمل في الديكور المسرحي، لأنه يجمع بين الفن والأدب.

ومن هنا بدأت الرحلة، وصرت أتردد على مقر مديرية المسارح والموسيقا للعمل في المسرح، وهو المقر الذي يضم أيضاً» مجلة أسامة» وأثناء ذلك التقيت برئيس تحرير المجلة السابق الأديب عادل أبو شنب، الذي عرض علي أن أرسم في المجلة، ومن باب الفضول قبلت، دون أن أعلم أن هذه الرسوم ستكون نقطة تحول في حياتي.

وتابعت: كانت فرحتي لا توصف حين رأيت رسوماتي ولأول مرة على صفحات مجلة أسامة، تلك المجلة التي نشأت بيني وبينها علاقة حب، وعلى صفحاتها تدربت، فكانت كالأم التي تتحمل عثراتي وتبارك نجاحي وتشجعني، وعن طريقها عرفني الأطفال، ليس في سورية وحسب، بل في الوطن العربي جميعه.

لوحة في كتاب الطفل

* كيف تعاملت مع هذا الفن الطفولي؟

** في السنوات العشرين الأخيرة انصب اهتمامي على البحث في مدى تأثير رسوم كتب الأطفال على تكوين شخصية الطفل وكيفية تطوير الكتاب فنياً ليحترم عقله ويواكب تطلعاته، وبدأت بمشروع» لوحة في كتاب الطفل» وإقامة الورشات للفنانين الشباب بهدف تعريفهم برسوم كتب الأطفال، وورشات أخرى للأطفال، ورأيت أن أهم العوامل التي يجب أن تتوفر في الكتاب لكي يصل للطفل بنجاح، أن تكون الرسوم قادرة على تركيز المفاهيم الأساسية والصحيحة في عقله ووجدانه من خلال القراءة البصرية، وضرورة أن تغذي هذه الرسوم غريزة حب الاستطلاع لدى الطفل بتراثه وحضارته.

كما يجب أن تحمل هذه الرسوم هموم وجمال بيئته، وهذا يعني أن يتحلى الفنان برصيد كاف عن بيئته، بحيث يستطيع أن ينقل هذا المخزون بفنية وأمانة للطفل دون تكلف وضمن قالب فني يحترم عقل الطفل وينمي ذائقته الفنية، فالرسوم ذات المستوى الفني المتميز لها دور هام في تنمية هذه الذائقة، خاصة

وأن نمو الحس الجمالي لا يأتي بالفطرة، بل يتطلب تدريباً وجهداً كبيرين، وهذا يؤكد ضرورة أن يكون الفنان المتوجه للطفل متمكناً فنياً ليستطيع تحقيق هذا الهدف.

الأصالة والانتماء

* كيف تتوجهين إلى طفل اليوم في عصر امتداد التكنولوجيا والتقنيات الحديثة؟

** لابد أن يكون الفنان متمكناً من أدواته حتى يستطيع أن يقنع الطفل ويحاكي خياله في زمن العولمة والفضائيات المفتوحة، والشيء الأساسي الذي يجب التنبه إليه هو الأصالة، فأول ما يسأل عنه الفنان عندما يقدم أي عمل للمشاركة في معرض دولي هو بلده وخلفيته الثقافية، وإذا كانت لوحته تعبر عن أصالته، لذا يجب أن تكون لوحة الفنان الذي يتعامل مع الطفل، أصيلة وتعبر عن جذورها، صحيح أن الأصالة موجودة لدينا، إلا أن موجة التقليد والفهم الخاطىء بأن ما هو أوروبي هو أفضل، وما نراه على الإنترنيت هو الأجمل، كل هذا يقتل مفهوم الأصالة، وكي يستطيع الفنان مواكبة عقل الطفل يجب أن يكون:

واثقاً من نفسه، ليعطي الثقة للطفل، ودائماً عندما نحب ما نقدمه، سيحبه المتلقي، لكن يجب أن نحبه بجدارة وبشغف وصدق، فهناك جهد مضن وحقيقي لإنجاز أي عمل فني، لذا عندما يقدم الفنان عملاً أصيلاً وقيماً، فأي طفل مهما كان متعلقاً بالكومبيوتر أو الألعاب الإليكترونية، سيحب هذا العمل، خاصة أن الكتاب أو المجلة لها خصوصية عند الطفل، لأنه يشعر أنها ملكه، يضعها تحت وسادته ويقرأها قبل النوم، وطبعاً لهذا الأمر علاقة بالأهل وكيفية تنمية هذا الموضوع لدى أطفالهم.

التوجه إليهم بشغف وحب

* لفن الأطفال خصوصية لتفاوت الفئات العمرية، فكيف تتعاملين مع هذه الخاصية؟

** بالطبع لكل مرحلة عمرية خصوصيتها، ومن الضروري في هذا المجال مراعاة هذا الجانب لدى الطفل، فعندما يفتح الطفل في مراحله الأولى كتابه وهو لا يعرف القراءة، يعتبر نفسه أنه قرأ بمجرد قرب الصورة من مداركه، فكل الكلمات التي يجب أن تكون مكتوبة ويقرأها الطفل، يجب أن يراها من خلال صورة صريحة وعفوية، بما ينقل الفكرة له دون تعقيد.

وهذه المرحلة بحاجة أيضاً إلى علاقة خاصة مع الطفل وأسلوب تفكير مختلف بحسب مراحل الأطفال العمرية، وتجب مراعاة خصوصية النص في أي عصر ومكان، لهذا يجب أن تكون ثقافة الفنان عالية، وأن يكون شغوفاً بشدة وصبوراً، فالشغف والصبر أساس تحقيق عمل فني متميز موجه للطفل.

وعلى اعتبار أن الإنسان وليد تجاربه، تقول الفنانة لجينة الأصيل:

إن النص الذي يلامس شيئاً ما مر به الفنان سيكون تأثيره أقوى على الطفل، فعندما يأتيني نص له علاقة بحالة عشتها، يكون تعبيري عن نصها من خلال الرسم أقوى جداً من تعبيري في نص لم أمر بحالته على الصعيد الشخصي، وهذا اتضح في رسومات إحدى الكتب التي جاءت عن الطلاق وانعكاسه على الأطفال، لأن هذا كان يعبر عن حالة عشتها عندما انفصل والدي عن بعضهما.

وتابعت الفنانة: شعرت أن القصة كتبت لي، وكنت مستمتعة جداً بأدائها، لأني أوصلت من خلال الرسومات كل المشاعر التي كنت أشعر بها في طفولتي، وما زالت كلما تخطر على ذهني، أعود إلى هناك، كان الكتاب معبراً ويحكي قصة طفل شرد بين والديه.

* ما دور الأهل في تنمية مواهب الصغار؟

** دور الكبار يأتي بأن يقدموا للأطفال الأعمال الجيدة، ليستطيع الطفل تمييز الجيد من الغث، وليكتسب سوية بصرية سليمة، وتوجيهه بشكل منهجي بترك الحرية الكاملة كي يتخيل، وفي الآن نفسه يجب تحريض هذا الخيال منذ الطفولة المبكرة كي يستطيع أن يخترع أساليب جديدة في مجالات الحياة منذ سنواته الأولى.

تفوق وجوائز وعلم سورية يرفرف

من يلتقي الفنانة التشكيلية ويتلمس ذاك الطفل الساكن في أعماقها، يدرك معنى أن تقدم للأطفال عصارة روحها وشطراً كبيراً من حياتها، تقول:

شاركت كثيراً في المعارض الدولية لرسوم كتب الأطفال، لأستطيع تحديد مستوى أعمالي ومدى تطورها بالنسبة للأعمال الفنية العالمية، وأكثر ما كان يفرحني رؤية علم بلادي يرفرف في المعرض، واسم سورية متواجد باعتزاز.

ونلت جوائز كثيرة في مصر ولبنان وفرنسا واليابان وصربيا، وكرمت في سورية، وكنت ضيفة شرف في معرض بولونيا في إيطاليا، والذي يعتبر أهم معرض لرسامي كتب الأطفال في العالم، لكن كنت أعتبر جائزتي الكبرى هي عندما أقابل ذوي الأطفال ليقولوا لي» تربينا وربينا أطفالنا على رسومك».

أما رسالتها للأطفال» اجعلوا الرسم مصدر متعة لكم، ليصبح الكتاب أداة فرح وبهجة، وأحبوا ما تقومين به، فالحب رسالة سامية تنطلقون عبرها إلى عوالم الجمال والنقاء والسمو».

وجه فرنسا العنصري

دلال إبراهيم

وعلى الرغم من ذلك، لم يسقط القرار عن فرنسا تهمتها بالعنصرية، القرار القاضي بضم الفنانة الأميركية السوداء جوزفين بيكر، العام الماضي، إلى محفل العظماء في فرنسا، الـ «بانتيون»، وقد وصفته المعلقة الفرنسية حول مسائل العرق روخايا ديالو، بقولها:»الشمولية يوتوبيا وأسطورة ترويها الجمهورية الفرنسية عن نفسها ولا تتوافق مع أي واقع حاضرٍ أو ماضٍ، بالنسبة إلى أبناء البشرة السمراء، لطالما كانت هذه الجمهورية فضاء لعدم المساواة»، بينما فرانسواز فرجيس، أستاذة العلوم السياسية في قضايا الثقافة والعرق والاستعمار، تعتبر أن هذه الحقائق لا تعني أي شيء، وأن «اللفتات الرمزية» مثل استقبال بيكر في الـ«بانتيون» لا تكفي لوضع حد للتمييز العرقي الذي «ما زال إلى حد اليوم يتحكم بحياة الناس في بلدنا، وفي حوار أجرته مجلة لو نوفيل اوبزرفاتور أشار الكاتب الأميركي جيمس بالدوين الذي لجأ هو الآخر إلى فرنسا إلى جانب بيكر هرباً من العنصرية المتفشية في الولايات المتحدة: «أنا أميركي أسود لايمثل أي تهديد للهوية الفرنسية، عملياً، كأنني غير موجود، لكن ستكون لي قصة مختلفة تماماً، لو كنت سنغالياً، وأغنية شديدة المرارة، لو كنت جزائرياً».

في فيلم (دوماس الآخر) لم يكن يخطر في بال المخرج صافي بينو، أن فيلمه هذا سوف يثير هذه الموجة من الانتفادات والاستنكارات بسبب إسناده دور الكاتب الشهير الكسندر دوماس، الخلاسي البشرة والأجعد الشعر، حسب وصف الكاتب صاحب لنفسه في مذكراته (أنا عبد ذو شعر أجعد) وابن الجنرال دوماس، بطل الحروب الثورية الفرنسية، الذي طرده نابليون من الجيش بسبب لون بشرته، إلى الممثل جيرالد ديباردیو، والتي جاءت في الوقت الذي يستعر فيه الجدل في فرنسا حول هويتها الوطنية، ومسألة التنوع العرقي والثقافي فيها، بحيث أبرز الفيلم بوضوح المصاعب التي تواجهها فرنسا في سياق تلك القضية،

ولمقاربة الشبه بين الممثل والدور اكتفى المخرج بإجراء بعض التغييرات البسيطة على شكل الممثل، مثل وضع شعر مستعار أجعد على رأسه، أو طبقة سميكة من مساحيق الاسمرار على وجهه، ويحكي الفيلم عن العلاقة التي كانت قائمة بين الكاتب دوماس وبين أوغست ماكيه، من يدعونه (عبده الأدبي) أي Neger وفي بريطانيا يطلقون عليه اسم (الكاتب الشبح)، وتلك مسألة لوحدها أثارت انتقاد كتاب السيرة الذاتية للكاتب دوماس.

ودافع منتجا الفيلم على أن موضوع الفيلم لا يتناول مسألة العبيد السمر وإنما مكرس لمسألة العبودية الأدبية.

ولكن بالمقابل هل يمكننا يوماً ما أن نغير لون ممثل خلاسي اللون ليقوم بدور شخصية بيضاء؟ مثلاً، أن يسند دور مارغريت دوراس للممثلة السمراء ايسا مايغا أو يسند دور الكاتب اميل زولا للممثل الأسود جيمي جان لوي؟ أو أن يقوم ممثل بدور الكاتبة جورج ساند؟ أو هل يمكن بعد مرور ١٥٠ عاماً أن يقوم ممثل أبيض بدور باراك أوباما ويكتفي بوضع شعر مجعد مستعار على رأسه؟ ذلك هو السؤال الذي من خلاله صوب مهاجموا الفيلم سلاحهم على المدافعين عن الحرية الفنية التي تحددها قدرة الممثل على أداء هذا الدور السينمائي، ونقطة الضعف الكبرى التي انفتحت فيها الثغرة للهجوم، هي لماذا وحينما أراد المخرج أن يقارب بالشبه الشكلي بين شخصية الممثل وبين الشخصية التي يقوم بدورها لم يذهب إلى آخر المطاف ويختار ممثلاً ملوناً وإذا ما عدنا إلى التقاليد الشكسبيرية (حيث يلعب الممثل كل الأدوار بغض النظر عن لون بشرته) نجد أن فرنسا تشكل حالة استثنائية عن الدول الأنغلوسكسونية، ففي مسرحية (هاملت) على سبيل المثال، أسند المخرج بيتر بروك دور أمير الدنمارك إلى ممثل أسود، وهذا الاختيار لم يشكل أي صدمة لدى الجمهور البريطاني، الذي رأى في الأمر شيئاً عادياً، ولكن، عندما عُرضت المسرحية في فرنسا، كان الجمهور يسأل المخرج بشيء من الاستغراب والاستهجان (ألا ترى أن في الأمر ثمة شيئاً مضحكاً، وهو أن يلعب ممثل أسود دور أمير دانماركي !) ويروي الممثل الكاميروني اميل ابوسولومبو أن أحد المخرجين قال له يوماً (أتمنى جداً أن تلعب يوماً ما دور دون جوان، ولكن الناس لن تستوعب ذلك)، علاوة على أنه وفي غضون السنوات المنصرمة اندفعت السينما العالمية في البعيد في البحث في تكريس التطابق في الشبه بين الممثل والشخصية التي سيقوم بتجسيدها على الشاشة، ومن وجهة نظر الكاتبة سيلفي شالاي، مؤلفة العديد من الأعمال المسرحية والسينمائية لا تتركز القضية على شخصية الممثل ديباردیو واختياره للدور، وإنما لأن السينما هي في نهاية الأمر عبارة عن تجسيد وتشخيص، ولا يمكن لأحد أن يطرح هكذا إنتاج بهذا الحجم دون أن يطرح هذه المسألة وهي الحفاظ على حقائق تاريخية لا يمكن تغييبها عن الشاشة، وأن السينما الفرنسية لا زالت متراجعة خطوات كبيرة إلى الوراء عن مثيلتها الأنغلو -سكسونية- في الاعتماد على المشاهير من النجوم السود، ولو كان هذا الفيلم قد أنتج في الولايات المتحدة كان سيلقى صيحة استنكار واسعة يصعب بسببها عرضه في الصالات، الأمر الذي يكشف عن خلل صريح في الآلية المعمول فيها لتقديم الدعم المادي للإنتاج السينمائي الفرنسي.

وفي حين ترد أسماء ممثلين سود في قائمة الممثلين الأعلى أجراً في هوليوود، يعمل المنتجون الفرنسيون إلى تلوين ديباردیو بلون ضارب إلى السمرة للقيام بدور كاتب أسود! ونضيف إلى ذلك صعوبة ايجاد التمويل لفيلم فرنسي يعتمد في بطولته على ممثل أسمر.

وهنا لا بد وأن تستحضرنا جملة قالها يوماً ما المخرج الفرنسي جان رينوار:» دعوا أبواب البلاتوهان مشرعة، لأننا لا نعلم من القادم الجديد الذي سوف يدخلها».

هذا من جانب التعمية على لون الكاتب، والتي هي ، دون شك ، أحد الوسائل المجدية لتهميشها والتنكر لحقيقة تاريخية، تأتي، ربما - كما فسره بعض الغاضبين من الفيلم - من أجل الإيحاء لفكرة أن السود هم (مهاجرون حديثو العهد على فرنسا) . والحقيقة تقول :إنهم فرنسيون منذ عقود قديمة ، وخرج دوماس من صفوفهم . وهذا يشكل جزءاً كبيراً من حياته ، كما أعماله ، وهي جزء هام من التراث الجمعي والإرث الوطني ، وتغييب هذا الجزء ينطوي على عدم إحساس بالمسؤولية الوطنية . لأن التمييز العنصري يبدأ دوماً من خلال إخفاء جزء من الآخر أو إنكاره ضمن سياق الحكاية الوطنية .

كذلك أفضى الفيلم من ناحية أخرى إلى عدم التلميح إلى الآلام التي كابدها الكسندر دوماس بسبب العنصرية التي كانت سائدة . تلك الآلام تحتل حيزاً كبيراً في مذكراته . ويذكر فيها أنه حينما كان يسأله أي شخص حين يلقاه (في الواقع ، يا سيدي العزيز من المفروض أن تكون خبيراً بالعبيد؟) ويرد دوماس (بالتأكيد ، كان والدي خلاسي وجدي كان عبد وجد جدي كان قرد . أترى يا سيدي بدأنا نحن من حيث انتيهتم أنتم) ، أو من مثل أنه وحين كان يخرج من صالون ، كانوا يفتحون النوافذ لتخرج الرائحة العفنة للعبيد .

من جهة أخرى استخدم الفيلم مصطلح (العبد الأدبي) وهو المصطلح الذي تنفرد فرنسا في استخدامه تقريباً ، ويعني بالعبد هنا الشخص الذي كان يتعاون مع الكاتب لإنجاز عمله الأدبي ، وهو شائع جداً في الأوساط الأدبية ، ومنها مثلاً أن الكاتبة المعروفة جورج ساند كانت تكتب لديكارت . وهؤلاء كانوا يعملون بالتعاون مع الكاتب في جزء أو في كلّ الأبحاث المتعلقة بأعماله وخاصة التاريخية ، ويقومون ، في حال اقتضت الحاجة ، بدور المصححين لما يكتبه الكاتب . ولكن في الفيلم ، يتحول دوماس إلى مجرد محتال ، إلى مجرد مستغل خسيس لموهبة أحد مساعديه وهو اوغست ماكيه . وفي هذا تهشيم لصورة دوماس الأدبية العظيمة ، الصورة التي يجتمع حولها الجميع دون تمييز في العرق واللون . وإن كان يسعى الفيلم إلى الاعتراف بموهبة ماكيه وإعادة الاعتبار له ، ولدوره الكبير في ولادة أدب دوماس، لماذا يذهب إلى درجة نكران عبقرية هذا الأخير؟ وهذا الإنكار للأصول الزنجية لدوماس وراء اختيار ديباردیو لتجسيد شخصيته. هنا في الفيلم ليس دوماس هو العبد ، بل ماكيه ، ودوماس هو ماكيه ، وبالتالي التشكيك بمقدرته على تأليف هذا الإرث الأدبي الرائع .

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه ضمن معمعة هذا السجال هو : ألا تشكل حياة كاتب فرنسي ذاق مرارة العنصرية ، ويعود في أصله إلى طبقة العبيد ، رواية دسمة تستهوي السينما الفرنسية لاقتباسها ؟

الأدب هل يغير العالم ..؟

مها محفوض محمد

تتكشف الكثير من أوراق الفيلسوف الفرنسي سارتر من خلال البحث والمحاضرات والرسائل التي شارك بها أو أرسلها ، والكتاب الفرنسيون دائمو المتابعة لهذا الأمر فقد اطلقوا على القرن العشرين اسم «قرن سارتر».

وحسب هؤلاء فإن جان بول سارتر لم يكن فقط من أكثر المفكرين صولة وجولة إنما كان صاحب مدرسة وتياراً فلسفياً أخلاقياً لاتزال رياحه تعبث بالتراث الإنساني بشكل عام والأوروبي بشكل خاص.

فقد نشرت دار غراسيه «محادثات» جرت بين سارتر وجون جيراسيه مابين أعوام ١٩٧٠-١٩٧٤ يتحدث عنها باستفاضة ميشيل أونفري الفيلسوف الذي أسس الجامعة الشعبية في كين عام ٢٠٠٢ وله نحو أربعين مؤلفاً كان آخرها «غروب صنم» عن فرويد.

وتعتبر هذه «المحادثات» لسارتر وثيقة مهمة لايمكن تجاهلها حول مواقف فيلسوف ترك بصمات عميقة في الفكر الإنساني والدراسات الأكاديمية وفيها يتهم سارتر عدداً من الأقلام الأوروبية بالانحياز إلى «إسرائيل» مثل كلود لانزمان ودانييل كوهين بنديت.

يقول سارتر عن بنديت: «إنه أبعد مايكون عن التميز والذكاء، لم أكن أحبه» وبنديت هذا يشغل اليوم منصب نائب في البرلمان الأوروبي عن حركة الخضر (أنصار حماية البيئة).

أما بالنسبة للفلسطينيين فقد وقف سارتر إلى جانبهم عام ١٩٧٢ حين قال: الفلسطينيون لايملكون خياراً آخر وذلك لافتقادهم السلاح ولمن يدافع عنهم لذا فهم يلجؤون إلى خيار العمليات الفدائية ويتابع سارتر: ماحدث في ميونخ له مبرراته لأن الرياضيين «الإسرائيليين» الذي جاؤوا للمشاركة في الألعاب الأولمبية آنذاك كانوا مقاتلين وجنوداً وهم إرهابيون إسرائيليين.

وعن رأيه بالكاتب كلود لانزمان الصهيوني النزعة فيصفه بالبرجوازي الذي ينشد المدائح «لإسرائيل» دون أن يرى مايحدث للفلسطينيين المساكين الذين طردوا من أرضهم التي تم الاستيلاء عليها دون أي تعويض واقتلاع أطفالهم من المدارس والتحرش بهم صباحاً ومساء أيضاً تعرضهم للضرب المبرح على أيدي غرباء مسلحين وبحسب سارتر فإن لانزمان يرى أن الإسرائيليين هم ضحية المحرقة وأي إنسان ينتقد السياسة الإسرائيلية هو مناهض للسامية.

ويستنتج ميشيل أونفري من تلك التصريحات وسواها أن سارتر يوجد الشرعية للفلسطينيين كي يسلكوا هذا المسلك.

ومما جاء في «المحادثات» أن سارتر دافع عن كيم إيل سونغ أيضاً وقف إلى جانب التدخل الفرنسي في إسبانيا، كما امتدح سياسة كوبا الكاسترية بالقول: كي تنجح الثورة يجب أن تذهب إلى نهاية الطريق، كما وجد أكثر من مبرر لاتفاقية الصلح (جرمانو سوفييتية)، وفي عام ١٩٤٧ أيد سارتر الاتحاد السوفييتي ومواقف دول المنظومة الاشتراكية آنذاك كما وقف إلى جانب سياسة ماوتسي تونغ في الصين ونشر ثمانية عشر مقالاً يؤيد سياسة كاسترو ويأسف لأن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يصل إلى السلطة في أيار عام ١٩٦٨، وينتقد سارتر غريمه الفيلسوف المدعي ريمون آرون فيقول عنه: إنه كاتب من الدرجة الثانية لابل هو إنسان غبي.

أما الأحزاب اليمينية الأوروبية فقد استخدمت الإرهاب وستبقى (بحسب سارتر) تستخدم الإرهاب للتصدي لأي عمل مقاوم.

ما كتبه سارتر في «المحادثات» يلتقي مع مؤلف شهير له عنوانه «مواقف» نشر الجزء الثاني منه عام ١٩٤٨ وهو عبارة عن مقالات نشر عدد منها في مجلة «الأزمنة الحديثة» كان يسلط الضوء فيها على مواقف الأدباء من المجتمع، أما الجزء الأول من «مواقف» فقد كتبها سارتر عام ١٩٤٥ وكانت عن التزام الأديب في خدمة الإنسان.

الجزء الثاني منها كان له عنوان: «تأميم الأدب» وفيه تعرية لمخاطر تعرض الأدباء للاسترخاء تحت وطأة الجوائز والتكريم الشعبي، أما الجزء الثالث منها فيعتبر مكملاً ل «المحادثات» التي نشرت والتي تجيب على أسئلة عديدة منها: ما الأدب؟ ما الكتابة؟ ولماذا نكتب ولمن نكتب؟

ومن خلالها يحلل سارتر علاقة الكاتب بالمجتمع، يقول سارتر: في القرن السابع عشر كانت وظيفة الأدباء أن يعكسوا مرآة النخبة في كتاباتهم وهي مرآة نفسية أكثر مما هي اجتماعية.

أما في القرن الثامن عشر فقد أدّى الأديب دوراً نقدياً بامتياز انسجم مع الشكوك التي انتابت الطبقة الارستقراطية وما تلاها من مطالب البرجوازية الصاعدة وغدا الأدب ترجمة لهذا الفكر.

وعندما انتصرت البرجوازية في القرن التاسع عشر انسلخ الكاتب عن تلك الطبقة التي ارتبط بها في مرحلة سابقة ليؤسس لقيم أدبية جديدة.. هكذا وجدها سارتر في أعمال بودلير وفاليري وفلوبير ومالارميه وجيد..

ولتغدو السوريالية نهاية هذا الطريق المسدود كتب يومئذ يقول منتقداً التيار السوريالي:

لم يبقَ أمام الأدب إلا الاكتفاء بذاته.

يقول أونفري: لقد شكلت المواقف السارترية محطة مهمة في القرن العشرين وبالنسبة لسارتر لم تكن الرواية والوصف والشرح تكفي بل على الأدب أن يشارك في العمل وفي تغيير العالم، لذلك نجده هاجم المجتمع البرجوازي وابتعد عن الحزب الشيوعي الذي كان من أشد أنصاره ليعلن استقلالية مواقفه السياسية والتزام الأديب ومسؤوليته عما يجري في العالم.

وتر الكلام

ليلة الجمعة...!

سعاد زاهر

لم تحاول حتى النّهوض
مضى وقت طويل متثاقلة تحت الأغطية الصوفية
إنها ليلة الجمعة
النصف الأول من شهر كانون الأول
تكثر العطل، وتهجم فرص مراجعة الذات
والدعوات لاكتئاب قصير الأمد
نفند فيه أفعالنا
هذه المرة اختارت ألا تقسو على نفسها
رغم كل خطاياها السوداء
انصرفت تحاول تعداد عطاياها
فقدتها وشعرت أنها مجردة من كل إرادة
شكرت السماء حين شمت رائحة القهوة
نهضت دفعة واحدة
وأدارت المكيف
ستستمتع بساعتين كاملتين من الكهرباء
لم ينس أن يضع على الصينية قطعتين من الشوكولا
لم يتذوقها منذ عرفته
هذه المرة كان حديث الصباح
شهياً كمذاق الشوكولا الفرنسية
التي أحضرها
عقب إحدى سفراتها
رغم طول السنين
لم يتخل عن عاداته الراقية
ولاتزال هداياه تملأ المكان
هذا الصباح
كأن روحه عادت إليه
منذ سنوات قاطعت عينيه الزرقاوين
ورفضت النظر إليهما
ولكنها اليوم
حين نظرت إليه نظرة خاطفة
أصرت خلالها على الاستمرار في تجميد قلبها
وإيقاف أحاسيسها
كأنها عادت من الموت
كأنها حصلت على كل ما تمنته يوماً
يا الله كيف يتلاعب بنا الحبّ
كيف تقيدنا العواطف
وتوثقنا إليها بألف حبل
ونحن نقاوم
ونصر على أننا نجونا
فإذ بلحظة عشق
تقودنا نحو حبنا الأزلي
نحن لا نرفض انعتاقه
ولا نقاوم
نحن لا نكون جديرين بالحب
حين لا ندرك أنه ينقذنا
ويغيرنا
ويلون كل حياتنا
ومجرد لمسة أو لحظة مع حب مقيم
هي تبعدنا عن كل هراء العالم
وأصدائه الهزيلة
فكيف إذا كان هذا الحب
ذكياً مرحاً متقلباً.... حاداً
حين شمت رائحة البيض المقلي
مع بعض التوابل التي يجيد إضافتها
كانت قهوتها شارفت على الانتهاء
نهضت مسرعة نحو المطبخ
وحين جهزت صحن المقبلات بدا بألوانه الزاهية
يومي إليها أن عاماً جديداً قادم
فيه ألف إشارات حياة مغلفة بكل ما هو مضيء
حتى وسط الظلام

الإهداء.. قصة قصيرة

لينا كيلاني

إهداءات الكتب ..إهداء المؤلف كتابه في الصفحة الأولى.. من ثم ما مصير الكتب المهداة برأيك..؟. هل الإهداءات مجاملة؟.. وهل تدخل حفلات توقيع الكتب ضمن إطار الإهداءات أم المجاملة، والنفاق الأدبي...؟ ترويجية ..أم ...

يعتقد القارئ أن الكتاب يكتسب قيمة إضافية إذا ما مُهر بتوقيع كاتبه.. لتكتسب بالتالي الإهداءات قيمتها، وخاصة عندما يمثل الكاتب قدوة لقارئه، أما الصفحة الأولى التي تحمل التوقيع فقد تدفع مقتني الكتاب لأن يحرص على ألا يفقد ذاك الكتاب حتى لا يفقد معه ذلك الشعور من أن الكاتب يهتم لأمره إلى درجة أنه كتب له عبارة رقيقة هي إهداء منه مخصصاً له، وحتى لو اضطر لأن يتخلى عن الكتاب الذي يحمل توقيع الإهداء فإنه لن يتخلى عن صفحته الأولى تلك.

إلا أننا كثيراً ما وجدنا كتباً تحمل إهداءات مؤلفيها مرمية في (بسطات) الكتب (المستعملة) زهيدة الثمن تنتظر مَنْ يأتي ليلتقطها، والإهداء الأول مازال ملتصقاً بحبره بها، ظاهرة شاعت في فترة ما، وانتشرت على الأرصفة مخلفة حسرة في قلوب المؤلفين الذين جرت أقلامهم في كتابة إهداءات شتى على أمل أنها تحفز على قراءة الكتاب، وهذا الأمر دفع بدوره كثيراً من المؤلفين أن يتريثوا في اندفاعتهم قبل أن يتورطوا في إهداء كتاب قد يجد مصيره بين كتب مهترئة على الأرصفة.

ولا أستغرب الاستغناء عن كتب مهما بلغت قيمتها الفكرية إذا ما كانت لا توافق ذائقة القارئ الثقافية حتى لو زينتها في صفحتها الأولى عبارات يهديها مؤلفها لزميل، أو لعابر سبيل، ومن بعض إهداءات الكتب ما يمكن أن ندرجه تحت مسمى النفاق الأدبي عندما تستدعيه الضرورة، ولا يكون الحبل موصولاً بين الكاتب وقارئه، ليصبح هذا النفاق وكأنه استدراج للقارئ، أو دعوة له ليقبل على قراءة النص المطبوع.

كما أنه ليس أدعى إلى الخيبة من إهداء المجاملة الذي قد يجده مَنْ أهدي له كتباً أنه لا ينتمي إليه، وكان يتوقع من مؤلفه أن يخصه بكلمات ربما فيها الامتداح، أو الثناء، لتصبح المجاملة من دون أيّ قيمة، وكأن الصفحات عارية منها.

أما حفلات التوقيع، وأنا عموماً لا أحبذها، بل لا أحبها، لأنني أجدها دعوة صريحة لشراء الكتاب، وترويجه، وتسويقه على حساب مَنْ يُدعى لتلك الحفلات حتى ولو لم تكتمل القناعة حول المضمون الفكري لذلك الكتاب، أو أنه نوع من الإحراج اللطيف. إلا أن الجمهور الذي يُقبل من تلقاء ذاته إلى حفل توقيع بعينه ليقتني كتاباً بعينه أيضاً فسوف يخرج به وهو يمتلئ سروراً بأنه قد فاز بتوقيعٍ من المؤلف، وكأنه فاز بكتابٍ قد كُتب خصيصاً له.

وأظنّ أن على الكاتب أن يُقدّر قيمة كتابه لأنه التعبير الحقيقي عن القيمة الذاتية للكاتب نفسه فلا ينثر كتبه بالمجان هنا وهناك في محاولة للترويج لشخصه، والدعاية لإنجازه المطبوع، ولتبقى الإهداءات لمن يبحث عنها، أو يقدّر قيمة الكتاب، وكاتبه.

الإهداء عموماً يشبه القصة القصيرة جداً فإذا لم يكن صاحبة مشحوناً بما يكفي لأن يكتب ما يختصر مضموناً ما، يكثفه في بضع كلمات ليجد بالتالي صداه عند من يتوجه له الإهداء فإنه سيخرج باهتاً لا لون له، ولا صفة تميزه، ولا يضيف إلى الصفحات صفحات من الارتباط بالنص، وبمؤلفه.

حادثة بريئة، نقية نقاء الطفولة، لعلّ ما يشبهها تكرر معي، إلا انها هذه المرة وصلتني مباشرة، وصريحة، فصديقي (يوسف) اليافع المتفتح للحياة، والمتلهف للقراءة باستمرار، وبعد أن أهديت له بعضاً من رواياتي، وكتبت على واحدة منها إهداءً له، وصلتني منه رسالة يخبرني فيها أن صديقه الذي استعار منه ذلك الكتاب ليقرأه لم يصدق أن صفحته الأولى ممهورة بإهداءٍ، وتوقيعٍ من كاتبته!.. وعند هذه الحادثة الصغيرة أتوقف لأقول: إنّ إهداء أي كتاب إذا لم يكن في موقع تقديرٍ فلا قيمة له.

...واحتفاء

أحمد علي هلال

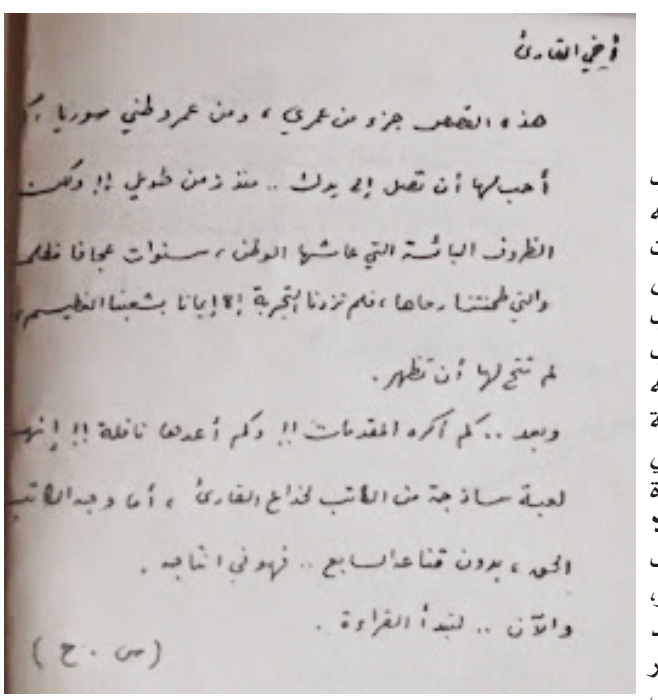

في واحدة من المفارقات أن تجد كتاباً مذيلاً بإهداء الكاتب ملقى على كتب الرصيف، ككائن غريب لم يعد له صلة بقارئه وكاتبه بآن، ربما تشكل هذه المفارقة واحدة من مفارقات كثيرة بصدد مصير الكتب المهداة، لكن ذلك لا يعني على الإطلاق أن ذلك المصير شامل فثمة من يحتفظ بالكتاب لجمال إهدائه وندرته، ولاسيما إذا كتب مؤلف الكتاب إهداءً بحلة أدبية بليغة، لعلها تشكل لدى المهدى إليه بوصلة للقراءة، أو استبطاناً من المؤلف إلى القارئ بأهمية هذا الكتاب وضرورة قراءته، إذ يتلامح هنا البعد العاطفي وينصهر بالبعد المعرفي، وعلى ذلك فإن الإهداءات بالقراءة السيمائية لها وظيفة انتباهية دالة، فهي عتبة ضرورية ولا ضرورية في آن لطالما أنها تنطوي على محاولة المؤلف تكثيف كتابه بجملة كمن يعتصر الوردة ليستخلص منها العطر، وكمن يسكب البحر في زجاجة، فبعض هذه الإهداءات قد تمثل توسلاً من الكاتب لا يعني شرح كتابه أو تكثيفه، بقدر ما يعني في حيز ضيق جرياً على عادات عمومية بوصف الكتاب هدية فحسب، وفي هذا السياق يمكن ملاحظة أن حفلات توقيع الكتب التي تجري في المنابر والمراكز والملتقيات، وحتى بيوتات الثقافة أنها احتفاء بميلاد كتاب، وستتداخل في هذا الاحتفاء تقاليد مجتمعية جديدة، أي إضافة نكهات موسيقية غنائية، وذلك سيخلص للشكل فحسب وليس لجوهر الكتاب، لأنه ما من قراءة نقدية سوف تتسع لهذا الحفل، فالنقد في مكان آخر، وما سوى تقاليد جديدة تعني الفرح بهذا الإنجاز بمعنى من المعاني، وتعني أيضاً حملة دعائية ترويجية يقوم بها أصدقاء (الكاتب أو الكاتبة) أو المقربين منهما، تستهدف لفت الأنظار لهذا المنتج، إلا أننا يجب أن نفصل هنا بين الندوة النقدية بخصوص المنتج، وتوقيع الكتاب، وما يصاحب هذا التوقيع من كلمات الإطراء والأطناب والمديح، بعيداً عن سلوك نقدي بعينه ما خلا جملاً عابرة تتقنع بالنقد، والأدل هنا ما يمكن قوله: إننا لا نستطيع فصل هذه المكونات عن بعضها على الرغم من طغيان الاحتفاء وتهرب النقاد من الأحكام النقدية إلى الأحكام العامة ليتكلموا مثلاً في الظاهرة الإبداعية أكثر مما يتكلموا عن رواية أو مجموعة شعرية، صحيح أن ذلك سيبدو من قبيل الضرورة الاجتماعية والمعرفية، لكن الأمر لا يستقيم إلا بتحديد المعايير الناظمة لهذه العملية، ذلك أنها قد دخلت في سوق وبكل ما تنطوي عليه كلمة سوق من معنى، والأدب بقيمته يتطير من مفاهيم السوق إلى أن يصبح ميداناً للحوار المنتج والخلاق، هي إذن ظاهرة فحسب ستعني كل شيء وقد لا تعني شيئاً على الإطلاق.

الموت بين البيروقراطية والمصلحة السياسيّة

قراءة : محمد خالد الخضر

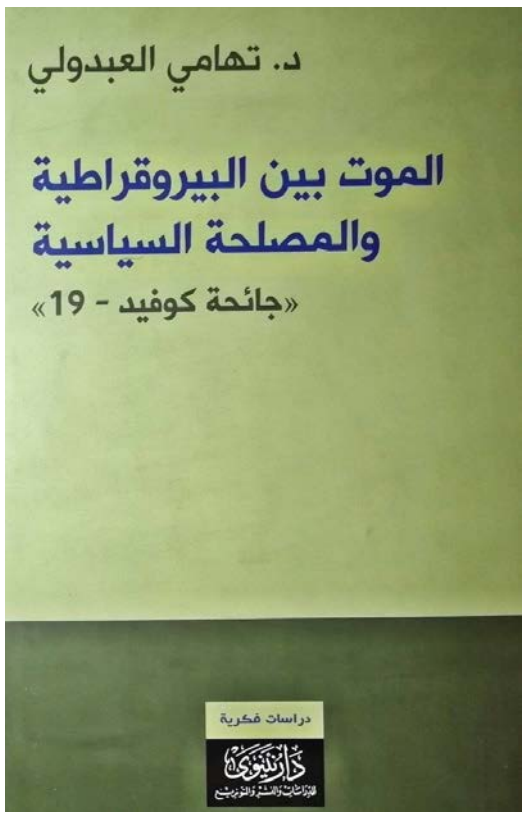

يتجه كتاب الموت بين البيروقراطية والمصلحة السياسية جائحة «كوفيد ١٩» إلى تفصيل البنى السياسية والثقافية التي ترتبت بعد مجيء الجائحة عام ٢٠٢٠، والتي سميت بجائحة كورونا مسببة توقف الحركة الحياتية العالمية براً وبحراً وجواً فاضطربت الحياة في كل مناحيها في العمل وفي الأسرة وفي العلاقات بين أطياف المجتمع ليكشف الكتاب كيف أصبحت رؤية الوجود تدور حول الموت، واختل التوازن وتزعزع الأمن العالمي وراح الإنسان يفكر في الوسائل التي تدفعه للحياة والتمسك بها.

وبشكل منهجي سلط الضوء على الهموم الفردية والجماعية ، وكيف اختار الإنسان السجن طوعاً بعد أن كان يرفضه بشكل قاطع بعد أن بدأ العالم يشير إلى إحصاء أعداد المصابين بكوفيد ١٩، ولا سيما أن أمريكا كانت في المرتبة الأولى فتحول الكائن من فاعل في حياته ومستقبله إلى مجرد متفرج لا حيلة له بالقيام في أي شي بعد أن ساورته الظنون بأن الإنسانية صائرة إلى الموت.

إن مرض كوفيد ١٩ الذي تحول إلى جائحة أصبح قضية سياسية عالمية حولها إجماع واختلاف في الوقت نفسه، وأهل السياسة الذين توحدوا في إدراكها مرضاً اختلفوا وتهاوشوا حولها غنيمة لأنها صارت معبراً لغنائم سياسية وسلطوية فالجائحة أفقدت الثقة بكل شيء وانهار التحكم بالجموع وفي كثير من الدول انفصلت المجتمعات عن الدولة وتشكيلاتها وطغت المسائل الصغيرة على الاهتمامات بتطور وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا مما أضعف كل المفاهيم المؤدية إلى بناء المجتمع مما لفت إلى ضرورة العمل على الوصول إلى مفاهيم جديدة بتفكير.

وذهب الكاتب الدكتور تهامي العبدولي إلى ضرورة تفكير الإنسان بحرية التنقل والتفكير والعمل بشكل علمي وأخلاقي للوصول إلى مصلحته الإنسانية وتحقيق أحلامه بشكل كامل.

كما رأى مؤلف الكتاب أنه ثمة تعثر في مجابهة الجائحة بعد ظهور البيروقراطية في العالم مما يلازمها من تراخ وعدم إيلاء الدول العظمى الجائحة أهمية قصوى وأولوية مما جعل الجميع يفكر بأنها جائحة ولا سيما أنها خلقت فوضى في الولايات المتحدة التي سجلت أكثر من ستة ملايين إصابة.

في هذا الحال بدأت الأمم والمجتمعات التي تسعى إلى حضارتها وعدالتها الاجتماعية والإنسانية تفكر بالعدالة وأن الأدعياء كالدول العظمى سوف يتخلون عن مسؤولياتهم في أي وقت مطلوب، وكذلك لم يكن الدور الإنساني في بريطانيا العظمى أكثر نجاحاً من غيرها كما كان الاتحاد الأوروبي بكامله متعثراً بمواجهة الجائحة.

ورأى الدكتور تهامي العبدولي أن مجابهة البيروقراطية ضرورة لا تقل ضراوة عن الحرب مع الجائحة لأن الإنسان أصبح بحاجة إلى أن يكون أكثر حرية مما مضى في حال انتشار بيروقراطية الدول وتعاملها مع الدول الأقل قوة فلابد من القدرة على العمل الطوعي وعلى الإدارة بكل أنواعها وعلى فهم النظام الإداري بشكل منطقي وذلك يسهل على معرفة النظام العالمي الجديد وبمن يتحكم به وصولاً إلى الديمقراطية والقوة التي تحافظ على علاقات غير قابلة للتغيير وتسعى إلى صالح العام العالمي بعد أن لاحظ العالم قوة الجائحة سياسياً وعجز الفهم والإرادة والإدارة حولها.

كتاب الموت بين البيروقراطية والمصلحة السياسية دراسات فكرية صادرة عن دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ويقع في ٣٠٤ صفحات من القطع الكبير ويجمع بين السياسة والثقافة وما أثرت بيه جائحة«كوفيد ١٩»كورونا، وما يجب أن يكون بعده هذه الجائحة، بشكل منهجي تمكن المؤلف أن يوثق لمبحثه ويرصد متحولات العالم الإنسانية بشكل تطبيقي .

الفلسفة في يومها العالمي

وفاء يونس

احتفى العالم منذ عدة أيام باليوم العالمي للفلسفة، وإذا كنا لم نهتم كثيراً بهذا الاحتفاء ولأسباب كثيرة لكن لابأس أن نقدم قطوفاً مما عرف به الفلاسفة (الفلسفة) فماذا قالوا ؟

ماهية الفلسفة حسب كل فيلسوف:

١ - سقراط : الفلسفة هي البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدي إلى الخير، وإنها تبحث عن الكائنات الطبيعية وجمال نظامها ومبادئها وعلتها الأولى.

٢- أفلاطون : الفلسفة هي البحث عن حقائق الموجودات ونظامها الجميل لمعرفة المبدع الأول، ولها شرف الرئاسة على جميع العلوم.

٣- أرسطو : الفلسفة هي العلم العام، وفيه تعرف موضوعات العلم كلها، فهي معرفة الكائنات وأسبابها ومبادئها الجوهرية وعلتها الأولى.

٤ - أبيقور : الفلسفة هي النشاط العلمي والعملي الذي يحقق السعادة في الحياة.

٥- ديوجانس : الفلسفة علم السعادة في الحياة والعمل لتحقيقها.

٦- الكندي : الفلسفة هي علم الأشياء بحقائقها، وهذه الحقائق كلية لأن الفلسفة لا تطلب معرفة الجزئيات، إذ إن الجزئيات غير متناهية، واللامتناهي لا يحيط به العلم، والفلسفة من حيث كذلك فهي أشرف العلوم الإنسانية، وأشرف علوم الفلسفة هو الفلسفة الأولى.

٧ - الفارابي : الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودة.

٨ - ابن سينا : الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية.

٩- ابن رشد : الفلسفة هي النظر في الموجودات من جهة دلالتها على الصانع.

١٠ - إخوان الصفا : الفلسفة أولها محبة العلوم، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة البشرية، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم.

١١ - ديكارت : الفلسفة هي العلم العام لجميع العلوم، وهي معرفة العناصر الأساسية من كل علم، وهي معرفة الكائن الجدير بالكينونة.

١٢ - جون لوك : الفلسفة دراسة العقل البشري.

١٣ - كانط : الفلسفة علم القوانين التي تنكشف للباحث أثناء قيامه بعملية نقد العمل، وهي المعرفة العقلية الناشئة من المعاني المُدرَكة بالعقل.

١٤ - فيخته : الفلسفة هي فن المعرفة.

١٥- هيغل : الفلسفة هي معرفة الحقائق الثابتة.

«قمر موسى».. عندما تخلق القراءة الأمل من جديد

لمى حمدان

بين براثن روتين مقيت يطبق على كل ناحية وكل لحظة في حياتنا نصارع لنخرج منه دون جدوى.. تأتيك حروف رواية تنتشلك من هذا الواقع المرير بظروفه التعيسة.. وتهيم بك مشاعراً وحباً وعواطف كادت أن تنطفأ.. لتغوص في عالم يأخذك إليه لتجد نفسك هائماً بين كلماتها متعطشاً للشعور والأثر الذي تركته في داخلك.. وهذا ما كان بعد قراءة رواية «قمر موسى» للكاتبة غنوة فضة.. التي استطاعت بسلاسة جملها وعباراتها البليغة المعنى والوصف الشيق لأحداث رواياتها أن تأخذنا إلى عمق رواياتها وتشعل لهيب الشوق لعيش أحداث تشبه أحداث قصتها..

إذ تصّور لنا الكاتبة في روايتها قصة تسرد أحداثها بطلتها قمر الزمان الفتاة ذات السبع والعشرين ربيعاً.. تعيش حياة هانئة سعيدة في كنف عائلة مثقفة من الطبقة الراقية.. لأب ضليع في الأدب العربي الذي شغفها بحب الأدب والأدباء منذ نعومة أظفارها.. وأم طبيبة نفسية أورثتها جمالاً لا يضاهى.. أحاطاها بكل ما تحتاجه من حب وعطف وقوة وغرسوا فيها كل مشاعر الحب والشعور بألم الغير فضلاً عن حب الأدب والموسيقا اللذين أصبحا شغفها الدائم.. لكن كل ذلك لم يكن ليسد حاجة في نفسها كانت قمر الزمان تجهلها وتتوق إليها قبل أن تعرف ماهي.. حتى كان لقاؤها بالشاب موسى المقعد نتيجة حادث أليم جعله أسيراً لكرسي مدولب،ويقبع في عزلة مريرة إلى أن كان لقاؤه بقمر الزمان التي جمعته بها المصادفة والقدر.. لتكون السبب في خروجه من عزلته ولتنشأ بينهما قصة حب فاقت الخيال بعيدة عن كل الماديات.. الحب الذي تعشق فيه الروح للروح.

قمر أحبت موسى الفتى الثلاثيني المقعد الفقير إلا من كنز بين يديه يتمثل بقدرته الفائقة على الإبداع في الرسم وتصوير لوحات فنية فاقت بجمالها إبداعات الفنانين العالميين.. هذا الحب لم يستطع أن يقف في وجهه سوى عنجهية والديّ قمر التي أظهرت أن كل ما تعلمته منهما قمر

من مثل وقيم إنسانية كان زائفاً عندما تعلق الأمر بابنتهم الوحيدة.. ليظهر مدى تشبثهم بعادات الطبقة المسماة الراقية التي لاتسمح بعلاقة كهذه بين فتاتهم الوحيدة ذات العائلة الراقية مع شاب من وسط اجتماعي فقير ناهيك بأنه ذو إعاقة جسدية..

وبرغم محاولات أهل قمر الزمان لثنيها عن المتابعة في علاقة اعتبرها والداها بأنها لن تجلب لها سوى البؤس والشقاء.. إلا أنها أبت إلا أن تستمر مع موسى في حالة الحب والهيام الروحي التي تربطها به.. مما استدعى من والدها للتدخل وإهانة الشاب في وسط بيته وأمام والدته ويصرخ فيه متهماً إياه بأنه سبب شقاء ابنته الوحيدة ونعته بالمقعد ذي الإعاقة..

الأمر الذي سبب جرحاً لموسى اضطره للسفر عند أخيه الأكبر في السويد للمعالجة.. وذلك من دون علم من قمر التي ضاقت عليها الدنيا بعد ما كانت ترى النور والحياة من خلال حبها لموسى ووجوده.. لتخرج عن مسار الحياة بسيارتها وتصبح مقعدة بسبب حادث أليم اعتبرته عقاباً لأهلها على إهانتهم لإعاقة إنسان لا ذنب له في هذه الدنيا سوى أنه أحب ابنتهم من الطبقة المسماةالراقية..

وبعد عامين من المعاناة ونكران الذات والحياة ووجع الفراق والبعد عن الحبيب وانطفاء شمعة الروح داخل كيان قمر الزمان..وبعد احتواء والديها لها اللذين أغدقا عليها بحبهما الأبوي الصادق.. عادت قمر لحياتها الطبيعة وتأقلمت مع كرسيّها المدولب وانطلقت للحياة من جديد لتباشر بتعليم الأطفال الأيتام للموسيقا التي طالما أحبتها بالعزف على البيانو.. ولتجد ضالتها في هؤلاء الأطفال وملجأً من كآبتها من دون أن تستطيع الأيام أن تمحو حب موسى من قلبها..

وأخيراً تنقلب الأحداث فجأة لنرى موسى واقفاً على قدميه أمام باب منزل قمر الزمان بقامته الجميلة الواثقة.. موسى الذي عاد من أجل قمر لينتشلها من كرسيّها المدولب، ويطيرا معاً إلى عالم حلما به سوية مع مباركة الوالدين..

وهكذا تكون الكاتبة قد نقلتنا بين حنايا كلماتها ووصفها الدقيق لكل مرحلة من مراحل تصاعد أحداث رواياتها وتزرع فينا حباً وشغفاً بأن نعيش نفس أحداث هذه القصة ونرغب في أن نكون قمر التي تنتظر موسى خاصتها ليأخذها إلى عالم آسر من الحب بعيداً عن المظاهر والماديات.. عالم تسكنه الإنسانية بكل معانيها مشبع بالحب الروحي الصادق والوفي..

تعالَ ياحبيبي العالم يموت..؟!

رجاء شعبان

العالم يموت وأنا أنتظر حبّة فرح
يطلّ بها اسم حبيبي
لماذا سكن العالم إلى هذا الحدّ ..
لماذا يضخّ
بفراغه المترقّب للغيب ..
هو دخل في المجهول يجول...
يتلفت يمنةً وشمالاً في مدّ
يسأل الموت...
يسأل الحياة...
يقول ...
لماذا يئس العالم رغم
ضجيج وفرح المشجّعين بالألعاب...!
مات النهار في ليل دهيم
وسطع الليل على الغياب
في المشافي تخلو الأسرّة من المرضى...
لقد رحلوا للوجع
وتركوا مساكن الشفاء
لم يعد لديهم دواء...
ما ينتظرون إلا سقماً وعقما...
غدا الدواء داء....
و ديدان الدم تنخر في العظم...
تنادي بالتبشير لزمن انقراضٍ وتدمير...
الرجْعُ صدى..
والصوت ضاع في المدى..
يبحث عن مدى
يسكن الأشلاء...
يحرّكها فلا تتحرك إلا رائحة فجيعة وقعت
بيوم قيامةٍ موعود
لكنّه غير منتظر...
فيا حبّ ...
هذا وعد الله الحق...
بأنْ لا نسمع اليوم حتى هسيساً..
وأن يأتيها أمرنا ليلاً ...
كإن لم تكن في الأمس...
وأن يجعلها حطاماً نسيسا
فتعال ياحبيبي إلى داري
دار السلام
دار الهدى و الحنين
دار الغناء على الدرب المستقيم
ولا تنظر إلى العالم
فلو ماتَ..
نحن لم نرده هكذا هشيم
نحن الحبّ.. نحن الوقتَ..
نحن الوئام
نحن البيان والتبيين
نحن الضوء الذي سوف يخرج
من هذا العتم القديم

رعب أخدود.. رواية من أدب الخيال العلمي

عبدالحكيم مرزوق

صدر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب وضمن سلسلة «أدب الخيال العلمي» مجموعة قصصية بعنوان :(رعب أخدود بلو جون)، تأليف: آرثر كونان دويل، ترجمة: حسين سنبلي. تصميم الغلاف: ميسون سليمان ، وتقع في ١٠٥ صفحات من القطع المتوسط،.

السّير آرثر كونان دويل (١٨٥٩- ١٩٣٠) هو كاتب بريطاني، ابتكر شخصية شرلوك هولمز، أكثر الشخصيات الروائية البوليسية شهرةً على نطاق العالم ،وقد ظلّ الملايين في مختلف أنحاء العالم يتابعون بشغف مغامرات شرلوك هولمز، وقدرته الفائقة على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على إمكاناته الذهنية، وقوة ملاحظته. كتب دويل عام ١٨٩٣م رواية مات فيها شرلوك هولمز، ولكنّه اضطر إلى إعادته إلى الوجود في رواية أخرى .

كان دويل أكثر كتّاب القصة القصيرة دخلاً في عصره. وقد كتب أيضاً روايات تاريخية، ورومانسية، ومسرحيات، وهجر الكتابة في آخر أيامه ليتفرغ لدراسة الروحانيات وتدريسها.

ونظراً لأهمية القصص المنشورة في الكتاب سوف أقدم نبذة عنها حسب ترتيبها في الكتاب.

صياد الخنافس:

يرى الطبيب هاملتون العاطل عن العمل إعلاناً غريباً في صحيفة، كُتِبَ فيه: أن رجلاً مطلوباً للعمل ليلةً أو ليلتين وفيه ثلاثة شروط حتّى يُقبل: أن يكون طبيباً، قوي البنية، ثابت الأعصاب، عالم بالخنافس وأمورها... ومع هذه الشروط الغريبة، فإنها تنطبق على هاملتون. وتتمثل مهمته في مرافقة اللورد لينشمير ليلةً في منزل السير توماس روسيتر في ديلامير كورت، عالم الحشرات المشهور، فحصل له ما لم يكن في الحسبان، ويتعرضان لهجوم من مخلوقٍ يجهلانه .

محرك براون بيركورد العظيم:

فرانسيس بريكورد مخترع نموذج أولي لآلة الطيران، ومرتبط بجيريمي براون الميكانيكي المعروف. ألقي في روع بريكورد فكرة لبناء محركٍ طائر، وبنى براون النموذج الأولي لذلك المحرك. ثمّ عقدا العزمَ على اختبار نموذجهم الأولي خارج لندن في مكان منعزل في البلاد. وكانت الآلة تعمل جيداً. ويعتقد بريكورد أن محركه سيكون أفضل اختراع، وأنه سيفوز بامتنان الجنس البشري ومحبته. لكن براون يعترف له بأنه سجل الآلة بنفسه واسمه الوحيد قبل رحلتهم مباشرة. فيتشاجران، ثمّ يقتتلان، ويموت براون بعد أن سقط على سكينه. فأصيب بريكورد بالذعر العظيم، وكره الآلة كرهاً كبيراً. فعقد العزم على إرفاق جسد صديقه الميت بالجهاز

وأطلق له العنان. فطارت الآلة بالجثة واتجهت جنوباً حتّى اختفت عن الأنظار. ثمّ سُجن بريكورد بعد ذلك في مصحةٍ للمجانين في ولاية نيويورك.

إخفاق لوس أميغوس الذّريع:

حكم على دنكان وارنر القاتل، اليائس، سارق قطار بالإعدام صعقاً بالكهرباء. فعزمت لجنة بلدة لوس أميغوس استخدام القوة الكاملة لمولّد البلدة، وهو مولدٌ له ستة أضعاف القوة المعتادة لتجنب أيّ فشل. فلم تقتله المحاولة الأولى، وتحسنت حاله في المحاولة الثانية، فعزموا على شنقه. فشنقوه، وجعلوا يحاولن نصف ساعةٍ كاملةٍ لكنهم فشلوا، وبقي حياً. فيأخذ المارشال ستة رصاصات ويطلقها جميعها عليه. لكن الرصاص لا يقتله على الإطلاق. فيوضح لهم مهندس كهربائي أن الكهرباء زادت من قوة هذا الرجل زيادةً هائلةً، حتّى أنه يستطيع أن يتحدى الموت عدة قرون. فيُرسل إلى سجنٍ مدى الحياة.

رعب أُخدود بلو جون:

يُرسَل مريض مصاب بالسل إلى منطقة هادئة في ريف ديربيشاير للمساعدة في شفائه. فلمّا وصل سرعان ما اكتشف أن ثمّة الكثير مما يمكن العثور عليه في التلال، أكثر من مجرد صحته الجيدة، سواء ساقه القدر، أم سوء الحظ. وتجاسر المريض على دخول إحدى تلك الأخاديد الهائلة، فوجد نفسه في غياهب الظلمات.. لكنه جمع شجاعته واستمر في النزول.. فوجد نفسه بعد ساعاتٍ في كهفٍ عظيم، مغطاةٌ أرضه ببقع طينية فيها آثار هائلة، وكأن جلموداً هائلاً سقط فوقها فسحقها.. ثمّة مخلوقٌ هناك، ولا ريب في أنه مخلوقٌ يستطيع الرؤية في الظلام.. مخلوقٌ مرعبٌ غريبٌ، يقبع في جوف الجبل..

القمع الجلديّ:

جامع تحفٍ وآثار إنكليزي يستقبل ضيفاً في غرفته. وكانت الغرفة التي كان من المقرر أن يقضي فيها الليل مكتبةً مليئةً بالكتب ذات الرائحة العفنة، ومدفأة بها جمر مشتعل. فطلب الانجليزي من ضيفه المشاركة في تجربةٍ سيجربها، بعد أن أوضح أنه يؤمن بفكرة أن الأحلام يمكن أن تكون كاشفة، ولا ينبغي إغفالها. ثمّ قدم لضيفه قمعاً جلدياً من العصور الوسطى، وتكهن الرجلان بشأن استخدامه ومصدره، ودرسوا عن كثب طرف القمع الذي بدا أنه قد قُطع. وطلب المضيف من ضيفه أن يضع القمع بجانب سريره؛ ليرى ما إذا كان قد استحضر أي أحلام غريبة قد تخبره بشيء عن تاريخ القمع. فما أن نام الضيف، حتّى زاره حلم حي، ونُقل إلى غرفة من الرعب في العصور الوسطى، حيث كانت امرأة على وشك التعذيب لقتلها أبيها وشقيقيها. وكان من الواضح أن القمع سيُستخدم لإغراق المرأة، لأن الحالم رأى عدة قوارير من الماء جاهزة. فاستيقظ الضيف وهو يصرخ، وظهر المضيف في الظل. واعتقد الضيف أن هذا الظهور قد يكون امتداداً لحلمه، ولكن عندما سأله مضيفه إلى أي مدى وصل إلى حلمه، أدرك خطأه، وعرف أن الصوت صوت مضيفه. ووصف الضيف حلمه بتفاصيل مروعة، ثم عُرض عليه كتاب فيه تاريخ الحالة الفعلية للمرأة المعنية، والطريقة التي أُعدِمت بها: فقُيّدت بالسلاسل إلى حصان خشبي هزاز، في حين صُبّ الماء في حلقها صبّاً من خلال القمع الجلدي.

حضور

د.سلمى جميل حداد

كان حضورك بخفة الياسمين مسرعاً كقبلةٍ في الهواء
أنا هنا خلف نافذة أحلامي
حرّة كنسيم يحملكَ إلي،
اقترب بعيداً
كي نبقى اثنين على مسافة واحدة من الحب
وابتعد قريباً
كي تبقى النور المنبعث من حرائق مدنٍ
تركتُ فيها ظلّي حين ضاقت أكمامه على ساقيّ
مضيتُ إلى الأبد
إلى حيث تنتظرني غيماتي الماطرات،
من عتمتها أكتب إليكَ مزدحمةً برطوبتي،
مرتبكةً بضجيج وحدتي والصمت.
قطعتُ مسافات الترقب مشياً على الوجع،
تعانقتُ مع عطركَ حتى فرغ الهواء من الأثير
ومضيتُ إلى الأبد
إلى حيث ألتقيكَ على مرمى من الغياب،
من حرائق أثكلتني وأولمت رمادي للتراب،
يا حبيباً لبستُ عليه حدادي كعتمة المحيطات
وأكلتُ على مائدة عزائه كل أطباق الوجع
لعلي نجحتُ في إنقاذ روحي من مسافاتها الحارقات،
سأرمي حمولتي من غربة الأفكار
وأقتسم مع عطركَ الجميل جوريةَ السماء،
وكما إلى الأبد مضيتَ
أحببتكَ إلى الأبد.

نقش سوري.. سعيد حورانية

ولد سعيد حورانية في دمشق عام ١٩٢٩ ، وتلقى تعليمه فيها، وتخرج في جامعتها مجازاً في الأدب العربي ثم نال دبلوم التربية، وعمل في التدريس في سورية ولبنان، وأقام فترة طويلة في موسكو من مطلع الستينيات حتى عام ١٩٧٤، ثم عاد إلى وطنه، واشتغل في وزارة الثقافة حتى وافته المنية عام ١٩٩٤

كتب سعيد حورانية القصة القصيرة، وبرز فيها ملتزماً بنهج الواقعية الاشتراكية بحكم التزامه بالماركسية والحزب الشيوعي، إذ غلبت على حياته مضاعفات هذا الالتزام في عمله وإقامته المتنقلة وسفره إلى الاتحاد السوفييتي آنذاك، وعمل فيه أكثر من عقد من الزمن.

وضع سعيد حورانية ثلاث مجموعات قصصية، هي:

١-وفي الناس المسرة- قصص- دمشق ١٩٥٤.
٢-سلاماً يافرصوفيا- مقالات- دمشق ١٩٥٧.
٣-صياح الديكة- مسرحية- دمشق ١٩٥٧.
٤-شتاء قاس آخر- قصص- بيروت ١٩٦٢.
٥-سنتان وتحترق الغابة- قصص- بيروت ١٩٦٤.
٦-المهجع رقم ٦- مسرحية- دمشق ١٩٦٣.
٧-القطة التي تنزهت على هواها- ترجمة- دمشق ١٩٨٣.

كتب عن قصص سعيد حورانية الكثير، ومن أهمها:

- عدنان بن ذريل: أدب القصة في سورية. منشورات دار

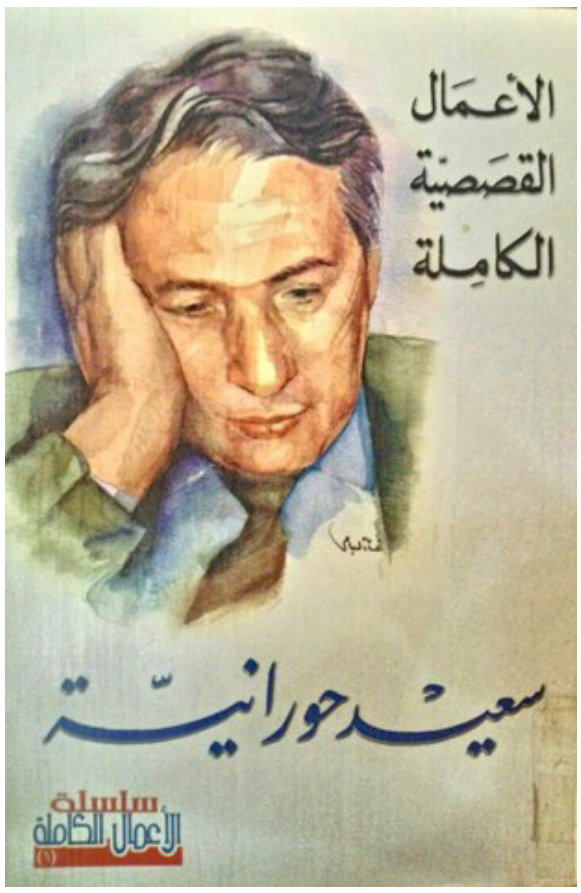

الفن الحديث العالمي. دمشق ١٩٦٧.

- نبيل سليمان (وبوعلي ياسين): الأدب والإيديولوجيا في سورية. بيروت ١٩٧٤.

- محمد كامل الخطيب: السهم والدائرة. دار الفارابي. بيروت ١٩٧٩.

عضو جمعية القصة والرواية.

توفي سنة ١٩٩٤

ومما قالته السيدة ناديا خضور زوجة الأديب الراحل سعيد حورانية عن زوجها منذ اللقاء الأول إلى رحلة الوداع الأخير.

(شدتني إليه إنسانيته وكنا في علاقة ندية استوعب مواقفي وعصبيتي.. إذا أراد أن يكتب يجمع أفكاره ويريد الهدوء فأقوم بنزهة أنا والأطفال إلى الحديقة.. بعد السفر يكتب انطباعاته لم يأبه بالنقد.. تلقى في حياته الكثير من الصدمات ولا أريد أن أقف عندها.. عيناه تشعان من الداخل بالألق.. أنقى الرجال لم يشعر بالغيرة أبداً يحب الجمال.. لم أكن أصدق أنه سوف يموت.. قبل وفاته طلب محاميه وكلفّه بإعداد وكالة بإسمي.. سعيد حورانية الذي توفي عام ١٩٩٤م- جعلها كما تقول تبقى أربع سنوات بعد رحيله حتى تستعيد توازنها ومنذ ذاك اعتادت على اللباس الأسود.

لا أريــدُ إلا...

فوزي الشنيور

لا أريدُ لهذا العصفورِ
أن يُحلّقَ بعيداً عني
لأني لن أسمعَ غناءهُ بعد الآنَ
فأصيرُ خارجَ الحديقةْ

xxxxxxx

لا أريدُ لهذهِ الوردةِ التي تنظرُ إليّ
أن تكبرَ
لأنّها ستموتُ
وأموتْ

xxxxxxxx

لا أريدُ لهذا الطريقِ الذيْ
يصلُ بيتيْ بالنّهرِ
أن يخلوَ من العابرينَ إليّ
لأنّي سأشعرُ لآخرَ مرّةٍ
بالحياةِ التي تنْبعثُ من الجنّةْ

xxxxxxx

لا أريدُ لأحدٍ أنْ يعودَ بسلّةٍ فارغةٍ
لأنّي حينَها سأحْزنُ كثيْراً
وأعرفُ أنّي ما عدتُ أمْلكُ الأشجارَ
أو العصافيرَ
لكي أهِبَ الأغانيَ من جديدْ

xxxxxxx

لا أريدُ إلا أنْ تَنْضُجَ الأحلامُ لدى
هؤلاءِ الفقراءِ
فتصيرُ كما يشتهونَ
لا أريدُ إلا .....
لا أريدُ إلا .....

من العالم

حسن أوريد: الرواية التاريخية في مأمن من الرقابة

في حوار مهم أجراه السيد حسين مع حسن أوريد عن الرواية التاريخية يقول المحاور في بداية الحوار

يعد المفكّر والكاتب المغربي حسن أوريد من بين أهمّ الشخصيات السياسية والفكرية البارزة في المغرب. عُيّن مستشاراً في سفارة المغرب في واشنطن، قبل أن يُعَيّن، عام (١٩٩٩)، ناطقاً رسمياً باسم القصر الملكي حتى يونيو/ حزيران (٢٠٠٥)، وتَمّ تعيينه، لاحقاً، محافظاً (والياً) على جهة مكناس، قبل أن يصبح مؤرّخاً للمملكة في نوفمبر/تشرين الثاني (٢٠٠٩)، وظلّ في ذلك المَنصب لمدّة عام واحد.

صدر لحسن أوريد الروائي: «الحديث والشجن»، «الموريسكي»، «صبوة في خريف العمر» و«سيرة حمار»، بالإضافة إلى ديوانين شعريّيْن هما «يوميّات مصطاف»، و«فيروز المحيط»

في هذا الحوار، يتحدّث حسن أوريد عن تجربته السردية، وموقفه من الجدل الذي أثارته بعض رواياته، كما يطرح توقّعاته المستقبلية على ضوء الوضع الراهن، وتراجع دور المثقّف في العالم

ما الهاجس الذي يدفعك للكتابة؟، ولماذا تكتب؟، وماذا تنتظر؟

- أعتقد أن ما يطبع من يختار الكتابة هو القلق الوجودي. نعم أنا شخصية قلقة. شخصية مسكونة بالسؤال؛ ولذلك أنقل جزءاً ممّا يعتمل في ذهني إلى المكتوب، وهذه العلمية هي نوع من الترويح، أوما يسمّى، في العلوم النفسية بـ«التطهير النفسي - catharsis» في أصلها الإغريقي، وأعتقد أن ما نحتاجه، في مجتمعاتنا، هو السعي للفهم. الفهم متعة كما يقول «سبينوزا».

كيف تقرأ ما يعيشهُ العالم، اليوم، من منطلق فكري؟

- لن أضيف جديداً ممّا قيل وكُتب. البشرية على مشارف تحوُل عميق. أعتقد أن أهمّ ما طرأ على البشرية، في العشرين سنة الأخيرة، هو الانترنت الذي محا المسافة، وخلق ثورة رقمية غير معهودة، ثم جائحة «كوفيد - ١٩» التي قلبت الموازين كلّها. كيف يُتَصوّر أن يعيش نصف البشرية في الحجر الصحّي؟ أكيد أن التداعيات الاقتصادية لجائحة «كورونا» ستكون كبيرة، لكن أثرها لن يكون اقتصادياً فقط. أبانت الأزمة على ضرورة الدولة، وعلى حَدّ ضروري من الاستقلال الاقتصادي. على المدى القصير، ستعيش البشرية ظروفاً صعبة، كما حال المدمن حين يُحرم ممّا اعتاد أن يتعاطاه، لكني أعتقد، أننا، على المدى المتوسّط، سننتهي إلى ضبط الاختلالات الناتجة عن عولمة من غير ضوابط، وننتهي إلى التمييز بين المال والثروة، وهذا- في تصوُري- شيء مهمّ.

ما وقعُ هذا الوباء على الفكر البشري؟

- هناك سابقة الطاعون الأسود، في أوروبا، في القرن الرابع عشر الميلادي. لقد كانت تحوُلاً في مسار أوروبا. حدّ الطاعون من نظرية القدَر، وما كانت تدعو له الكنيسة من الخضوع والاستسلام لواقع الحال. أخذت سلطة الكنيسة تتقلّص جرّاء الوباء. لربّما أننا نعيش هيمنة كنيسة من نوع جديد، وهي المؤسّسات الماليّة التي تتكلّم باسم الدين الجديد (أعني الاقتصاد) من أجل الثواب الجديد الذي هو الربح. لا بدّ أن نُخضع الاقتصاد للفكر، فالاقتصاد في خدمة الإنسان، لا الإنسان في خدمة للاقتصاد.

في تصوُرك،، هل سيتغيّر حال العالم بعد الخلاص من هذا الوباء؟

- نعم سيتغيّر. رؤًى كثيرة كانت بمنزلة يقينيّات، أصبحت موضع تساؤل. لكن السؤال المهم ليس في تغيُر سُلّم الأولويّات والقيم والخيارات، ذلك أن الغرب انتقل من الليبرالية المفرطة في بداية القرن الماضي حتى حدود أزمة (١٩٢٩)، ثم إلى الدول المتدخّلة مع نظرية «كينز»، ليعود مع المدرسة الاقتصادية الليبرالية إلى شيكاغو، إلى النيوليبرالية. الذي سيغيّر ليس النظريات أو الأيديولوجيا، أوسُلّم الأولويات، فقط، بل أوضاع الفاعلين. هل ستبقى هيئة الغرب مستمرّة؟ هل ستبقى المجموعة الأوروبية متّحدة؟ وهذه التغييرات ستؤثّر في العالم العربي، الذي سيتغيّر كذلك. وأتمنّى أن يتغيّر إيجابيّاً.

ما تقييمك للحركة الثقافية والمشهد الإبداعي في المغرب؟ وهل هي قادرة على استيعاب كلّ التجارب الإبداعية؟

- قد لا يكون حكمي موضوعياً. ربّما نعيش ما يعيشه العالم من ضمور الثقافة الهادفة والرصينة، لفائدة ثقافة المتعة والتسلية. غلبت علينا المهرجانات، وقَلّ الفكر، ولا أرى أن تنفصل الثقافة عن الفكر.

هناك من يتحدّث عن تراجع دور المثقّف المغربي، مقارنةً بالستينيات والسبعينيات وحتى الثمانينيات. كيف ترى وضع الثقافة والمثقّفين، ودرجة تأثيرهم في حاضر البلد، بشكل خاصّ؟

- تراجع دور المثقّف المغربي مثلما تراجع دور المثقّف في العالم. أزاح الخبير الذي يحمل أجوبة أو خبرة دور المثقّف الذي يطرح الأسئلة، كما أزاح الصحافي، بحضوره المكثّف، دور المثقّف الذي ينبغي أن يرسم مسافة مع الأشياء والأشخاص والظواهر، والذي عليه أن يتروّى قبل أن يصدر حكماً، على خلاف الصحافي، أو المحلّل الصحافي الذي هو تحت ضغط الأحداث.

هذه كلّها معطيات موضوعية حدّت من دور المثقّف عموماً، ويضاف إلى ذلك تراجع الجامعة. أوضاع الجامعة في المغرب (ولا أستطيع أن أتكلّم عن أوضاعها في بقيّة بلدان العالم العربي، ولكني أقدّر أنها متشابهة) ليست في مستوى ما نطمح إليه، فكيف يمكن أن يبرز المثقّف إن لم تكن هناك بنية حاضنة ؟

يمكن أن أضيف عاملاً، هو الثقافة السياسة في المغرب كما في العالم العربي، والتي تغيّرت في العشرين سنة الأخيرة. توارى الفكر النقدي لصالح أفكار عامّة من قبيل المسلّمات، أو المعتقدات، وطغيان خطاب الهويّة. خطاب الهويّة لا يساعد في ظهور فكر، بل في بروز نشطاء. وحدث شيء آخر في المغرب، وربّما في الجزائر، هو انشطار ما بين المثقّف المُكوّن باللّغة العربية، والمثقّف المكوّن باللّغة الفرنسية، في حين كان الجيل السابق يتقن، في الغالب، اللُغتين، ولم يكن ثمّة تنافر بينهما، وكان أغلب المثقّفين المغاربة، قبل جيل، يكتبون بالعربية، ويتقنون الفرنسية التي كانت مصدر غنًى، وكانوا يرتبطون بما يسمّيه الفيلسوف الفرنسي «ليوتار» بالسرد الكبير، أي مرجعية سياسية وفكرية ناظمة. غياب السرد الكبير أو المرجعية الفكرية والسياسة، أدّيا إلى ضمور دور المثقّف. هذه، في اعتقادي، بعض الأسباب لتراجع دور المثقّف المغربي.

حدّثنا عن روايتك «رباط المتنبّي» التي وصلت إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية «البوكر» (٢٠٢٠)؟

- كتبت رواية «رباط المتنبّي» وفاءً لشيء اعتَوَر حياتي الدراسية، وهو أن المتنبّي كان جزءاً من التربية التي تلقّيتها. في مسرى الحياة الثقافية، ننتقل من مستعير إلى شخص عليه أن يفي بالدّين؛ لذلك كان لزاماً عليّ أن أؤدّي دَين ما تلقّيته. لكن المسألة مرتبطة بشيء أعمق من الوفاء بدَيْن، وهو السؤال: هل يمكن للتراث أن يكون حلّاً؟ من منظوري، التراث ليس حلّاً ولا عبئاً. يمكن أن يساعدك كأرض صلبة تضع عليها قدمك، ولكنّ ذلك لا يمنع من السير قُدماً، ولكن شريطة استعادة التراث، والاستعادة تتمّ من خلال قراءة نقديّة له، كما أن التراث ليس عبئاً مثلما كان ينادي أصحاب الطاولة الجرداء، أو من انتصبوا ضدّ التراث والتقاليد؛ ولذلك كانت روايتي حواراً ومساءلة بين بطل الرواية والمتنبّي، وقد حَلّ في عصرنا عند مثقّف من المغرب، أو رباطه، ويُجْري كلاهما قراءة نقدية للثقافة العربية.

كم من الوقت استغرقته في كتابة رواية « رباط المتنبّي»، وجمع المادّة الخاصّة بها؟

- كتبته على مرحلتَيْن؛ المرحلة الأولى في أثناء صيف (٢٠١٧)، وهي تحوي القسم الأوّل عموماً، ثم توقّفت بعدها. لم يسعفني الخيال، وكدت أعدل عن العمل. حين بدأت العمل كنت في عطلة صيفية بشاطئ مدينة الجديدة جنوب الرباط، وصحبت معي ديوان المتنبّي، وكتاب طه حسين عنه، وكنت أقرأ ما أكتب لصديق كان استضافني في بيته مع زوجته، لقضاء عطلة الصيف.أشتغل صباحاً، ثم نذهب، سويّاً، إلى مطعم شعبي لتناول السمك، فيسألني: أين وصل المتنبّي؟، فنمزح. عدت من العطلة، وتوقّفت عن العمل، وحدث أن مات ذلك الصديق في يناير (٢٠١٨)، وأصبحت الكتابة عن المتنبّي وفاءً لذكرى ذلك الصديق الذي لم يُتَحْ له أن يقرأ عملي. عدت برؤية أخرى، وقد يلاحظ القارئ تمايز القسمَيْن؛ الأوّل والثاني. لو كنت في وضع عاديّ لربّما تريّثت قبل أن أنشره، لأن فيه، أحياناً، طريقة فجّة في الحكم على قضايا معيّنة. لم أرسم مسافة كافية مع ما كتبته لأوّل وهلة. أعتقد أن على الكاتب، لمّا يفرغ من عمل ما، أن ينساه لكي يعود إليه بنظرة أخرى. أنا لم أقم بذلك. كانت لي أولويّات؛ هي الوفاء لذكرى صديق باستكمال ما بدأته عن المتنبّي.

الإشكاليات التي من الممكن أن تقابل من يتصدّى لكتابة رواية تاريخية، من وجهة نظرك؟

- ليس هناك إشكالية مخصوصة. في «الموريسكي» وهو عمل طبعته الهيئة العامّة للكتاب في مصر، مشكورةً، أطرح قضية إنسانية لمُهجّرين من الأندلس، ويمكن أن تكون قصّة أي مُهجّرين آخرين في الزمان والمكان. وأعتقد أني أسهمت في التعريف بهذا الفصل التراجيدي، وهناك عدّة كتابات إبداعية عن مأساة المهجّرين الأندلسيّين هنا في مصر، وهي أكثر من أن يحصيها العدّ، منها- على سبيل المثال- «ثلاثية غرناطة» للمرحومة رضوى عاشور، وهو عمل جبّار ورائع. لكني، إلى جانب ذلك، طرحت في رواية «الموريسكي» قضية المثقف والسلطة، وتصادم الحضارات. طبعاً، من منظوري، لا معنى للرواية إن لم تطرح قضايا فكرية. نحن مجتمعات تعيش وضعاً انتقالياً، ويتعيّن أن نفكّر في الواقع، ونجري نظرة نقدية على الماضي كي نستطيع أن نبني المستقبل. لا أكتب من أجل الإمتاع والمؤانسة.

روايتك «رواء مكة» أثارت، أيضاً، الكثير من الجدل؟

- لم أبحث عن الإثارة، ولم أسعَ إليها. العمل ليس رواية، بل يمكن أن نعتبره رحلة وجدانية. المبدأ الذي أنطلق منه هو أن العمل، حين يُنشَر، يصبح مُلْكاً للقرّاء، أو ما يسمّيه الناقد الفرنسي «رولان بارث» موت الكاتب. الناس أحرار في قراءته، لكني كنت أتمنّى لو أمسَك بعض الأشخاص عن النيل من شخصي، وأن يوجّهوا نقدهم للعمل لا للشخص.

هل تسعى أعمالك الروائية مثل «رباط المتنبي»، و«الحديث والشجن»، و«صبوة في خريف العمر»، و«الموريسكي»، و«سيرة حمار»، و«الأجمة». و«رواء مكة» إلى طرح الأسئلة، أم إلى محاولة الإجابة عليها؟

- لا، ليس بالضرورة. المجال الذي أطرح فيه الأسئلة هو الكتابات الفكرية. لئن كنت أطرح قضايا فكرية، في أعمالي الروائية، فلا يمكنها أن تتحوّل إلى أعمال فكرية بحتة. سيفقدها ذلك رونقها، والغاية من كل عمل روائي هي المتعة. على خلاف الأعمال الفكرية، حيث نتوخّى الفائدة، أوّلاً، أرى أن الأولويّة التي ينبغي أن ينصرف إليها العمل الثقافي، في مجتمعاتنا، هو الفكر. هو الأولوية، وطرح الأسئلة العميقة: لماذا نحن في الوضعية التي نحن فيها؟ لم تعثّرت مشاريع التحديث؟ ما العوائق؟ وهذا من صميم عمل المفكّر، أمّا التكنقراطي فيأتي بأجوبة جاهزة، بناءً على خبرته. لم أقل، قطّ، إننا غير محتاجين للتكنقراط، ولكني ضدّ الخلط في المهامّ؛ أي حين ينتحل التكنقراط دور المثقّف. المعادلة في العمل الروائي، من منظوري، هي المزج بين قضايا فكرية مع جانب المتعة. هل وُفّقت؟ لا أدري. أترك للقارئ أن يحكم.

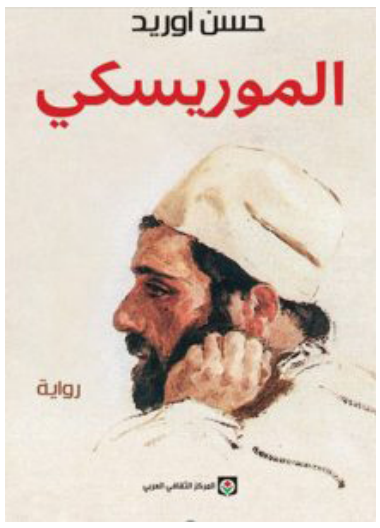

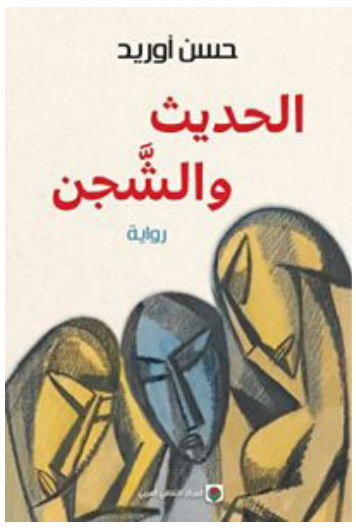

شاعر وقصيدة

السياب وأُنشودة المطر

(يقف السيّاب من الشعر الحديث موقف الثائر الذي يعمل على قلب الأوضاع الشعريّة، ونقل الشعر من ذهنية التقليد وتقديس الأنظمة القديمة إلى ذهنية الحياة الجديدة التي تنطق بلغة جيدة، وطريقة جديدة، وتعبّر عن حقائق جديدة. وساعدَ السيّاب في عمله جرأة في طبيعته، وتحرُكاً اجتماعيّاً وسياسيّاً ثورياً هزّ العالم الشرقيّ هزاً عنيفاً، ثم انفتاحاً على أدب الغرب وأساليب الغرب في التفكير والتعبير. وقد أدخل السيّاب على الشعر العربي ثورته التي قام بها في مجتمعه، فحوّله من نظام العروض الخليلي إلى نظام الحرية، وأخرج الأوزان القديمة من قواعدها المألوفة إلى أوزان أملَتْها عليه معانيه ونبضات وجدانه، وتصرف بالتفاعيل والقوافي وفقاً للمزاجيّة الشعريّة التي يوحي بها مقتضى الحال، هذا فضلاً عن التيارات الفكرية والتحليلات العميقة التي زخر بها شعره وانساق في مجاريها انسياقاً فُراتيّاً يمتدّ امتداداً حافلاً بالغنى ومتأججاً بتأجّج العاطفة والحياة والخيال التي ينطلق منها.تروعك في شعر السيّاب تلك الثروة الفكرية، وتلك الغزارة المعنوية، وذلك التلاحق الهائج المائج في تدفّقه الذي يجمع الصّخب إلى التغلغل في طوايا النفس؛ وذلك العصف الفكري والعاطفي ، ثم تلك الواقعية اللفظية الضارية، والإلحاح على المشهد المثير واللفظة المعبّرة عن الثورة الحياتية المتفجرة، ثم أخيراً تلك الرمزية التصويرية تستعين بالميثولوجيا والإشارات التاريخيّة التي تزيد الكلام حدّةً وبُعداًآفاق.

وهكذا فالسيّاب شاعر التحرُر وشاعر الحياة والعنفوان.

ويمثل شعر بدر أهم الاتجاهات الشعرية التي عرفها عصره، وكانت له حصيلة واسعة من الموروث الشعري الكلاسيكي، بالإضافة إلى ترجماته لمختارات من الشعر العالمي إلى العربية.

بدأ بدر كلاسيكياً، ثم تأثّر برومانسية أبي شبكة من لبنان وبودلير من فرنسا، لكن إضافاته الشعرية وإنجازاته بدأت بشعره الواقعي، ولاسيما قصائد حفّار القبور؛ المومس العمياء؛ الأسلحة والأطفال.

وشعر بدر التّموزي أبدع ما ترك من آثار، لاسيما ديوان أنشودةَ المطّر، ففيه نماذج كثيرة للقصيدة العربية الحديثة، التي توفر فيها شكل فني حديث متميّز، ومضمون اجتماعي هادف في آن واحد، ومن أشهرها أنشودة المطر، ومدينة السندباد؛ والنهر والموت؛ وبروس في بابل؛ وقصيدة المسيح. وتعد قصيدتاه: أنشودة المطر؛ وغريب على الخليج صوتاً مميزاً في الشعر العربي الحديث، وفيهما يظهر صوته الشعري المصفى وقدرته الإبداعية العميقة. يقول مطلع أنشودة المطر:

عَيْنَاك غَابَتَا نَخيلٍ سَاعَةَ السّحَرْ ،
أو شُرْفَتَان رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا القَمَرْ .
عَيْنَاك حِينَ تَبْسُمَان تُورِقُ الكُرُومْ
وَتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ...كَالأَقْمَار في نَهَرْ
يَرْجُهُ المِجْدَافُ وَهْنَاً سَاعَةَ السّحَرْ
كَأَنّمَا تَنْبُضُ في غَوْرَيْهِمَا ، النُّجُومْ ...
وَتَغْرَقَان في ضَبَاب مِنْ أَسَىً شَفِيفْ
كَالبَحْرِ سَرّحَ اليَدَيْنِ فَوْقَهُ المَسَاء ،
دِفءُ الشّتَاء فيه وَارْتِعَاشَةُ الخَرِيف ،
وَالمَوْتُ ، وَالمِيلادُ ، والظلامُ ، وَالضّيَاء ؛
فَتَسْتَفيق مِلء رُوحي ، رَعْشَةُ البُكَاء
كنشوة الطفل إذا خَافَ مِنَ القَمَر !
كَأَنّ أَقْوَاسَ السَّحَاب تَشْرَبُ الغُيُومْ
وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذُوبُ في المَطَر ...
وَكَرْكَرَ الأَطْفَالُ في عَرَائِشِ الكُرُوم ،
وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصَافِيرَ عَلَى الشّجَر
أَنْشُودَةُ المَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر...
مَطَر...
تَثَاءَبَ المَسَاءُ ، وَالغُيُومُ مَا تَزَال
تَسحُ مَا تَسحّ من دُمُوعِهَا الثّقَال .
كَأَنّ طِفلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أَنْ يَنَام :
بِأَنّ أُمَّهُ التي أَفَاقَ مُنْذُ عَامْ
فَلَمْ يَجِدْهَا ، ثُمّ حِينَ لَجّ في السُّؤَال
قَالوا لَهُ : « بَعْدَ غَدٍ تَعُودْ .. »
لا بدّ أَنْ تَعُودْ
وَإِنْ تَهَامَسَ الرِّفَاقُ أَنّهَا هُنَاكْ
في جَانِبِ التّلّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّحُودْ
تَسفُ مِنْ تُرَابِهَا وَتَشْرَبُ المَطَر ؛
كَأَنّ صَيّاداً حَزِيناً يَجْمَعُ الشِّبَاك
وَيَنْثُرُ الغِنَاءَ حَيْثُ يَأْفِلُ القَمَرْ .
مَطَر ...
مَطَر ...
أتعلمينَ أيّ حُزْنٍ يبعثُ المَطَر ؟
وَكَيْفَ تَنْشِجُ المزاريبُ إذا انْهَمَر ؟
وكيفَ يَشْعُرُ الوَحِيدُ فِيهِ بالضّيَاع ؟
بِلا انْتِهَاءٍ كالدَّمِ المُرَاق ، كَالْجِيَاع ،
كَالْحُبّ ، كَالأَطْفَال ، كَالْمَوْتَى هُوَ المَطَر !
وَمُقْلَتَاكِ بِي تُطِيفَانِ مَعَ المَطَر
وَعَبْرَ أَمْوَاجِ الخَلِيجِ تَمْسَحُ البُرُوقْ
سَوَاحِلَ العِرَاقِ بِالنّجُومِ وَالمَحَار ،
كَأَنّهَا تَهُمُّ بِالشّرُوق
فَيَسْحَب اللّيلُ عليها مِنْ دَمِ دِثَارْ .
أصيح بالخليج : « يا خَلِيجُ
يا واهِبَ اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! »
فيرجعُ الصّدَى
كأنّه النشيجْ :
« يَا خَلِيجُ
يَا وَاهِبَ المَحَارِ وَالرَّدَى ... »
أَكَادُ أَسْمَعُ العِرَاقَ يذْخرُ الرعودْ
ويخزن البروقَ في السهولِ والجبالْ ،
حتى إذا ما فَضّ عنها ختمَهَا الرِّجالْ
لم تترك الرياحُ من ثمودْ
في الوادِ من أثرْ .
أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تَئِنُّ ، والمهاجرين
يُصَارِعُون بِالمجاذيف وبالقُلُوع ،
عَوَاصِفَ الخليج ، والرُّعُودَ ، منشدين :
« مَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
وفي العِرَاقِ جُوعْ
وينثر الغلالَ فيه مَوْسِمُ الحصادْ
لتشبعَ الغِرْبَان والجراد
وتطحن الشوان والحجَر
رَحَىً تَدُورُ في الحقول حولها بَشَرْ
مَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
وَكَمْ ذَرَفْنَا لَيْلَةَ الرّحِيل ، مِنْ دُمُوعْ
ثُمّ اعْتَلَلْنَا خَوْفَ أَنْ نُلامَ بِالمَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
وَمُنْذُ أَنْ كُنّا صِغَاراً ، كَانَتِ السّمَاء
تَغِيمُ في الشّتَاء
وَيَهْطِل المَطَر ،
وَكُلّ عَام حِينَ يُعْشِب الثّرَى نُجُوعْ
مَا مَرّ عَامٌ وَالعِرَاقُ لَيْسَ فِيهِ جُوعْ .
مَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
في كُلّ قَطْرَةٍ مِنَ المَطَر
حَمْرَاءُ أَوْ صَفْرَاءُ مِنْ أَجِنّةِ الزّهَرْ .
وَكُلّ دَمْعَةٍ مِنَ الجِيَاعِ وَالعُرَاة
وَكُلّ قَطْرَةٍ تُرَاقُ مِنْ دَمِ العَبِيدْ
فَهِيَ ابْتِسَامٌ في انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيد
أَوْ حُلْمَةٌ تَوَرّدَتْ عَلَى فَمِ الوَلِيدْ
في عَالَمِ الغَدِ الفَتِيّ ، وَاهِبِ الحَيَاة !
مَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
سَيُعْشِبُ العِرَاقُ بِالمَطَر ... »
أَصِيحُ بالخليج : « يا خَلِيجْ ...
يا واهِبَ اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! »
فيرجعُ الصّدَى
كأنّهُ النشيجْ :
« يا خليجْ
يا واهبَ المحارِ والردى . »
وينثر الخليجُ من هِبَاتِهِ الكثَارْ ،
عَلَى الرّمَالِ ، : رغوه الأَجَاجَ ، والمحار
وما تبقّى من عظام بائسٍ غريق
من المهاجرين ظلّ يشرب الردى
من لُجّة الخليج والقرار ،
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيقْ
من زهرة يربُّها الرفاتُ بالندى .
وأسمعُ الصّدَى
يرنُ في الخليج
« مطر .
مطر ..
مطر ...
في كلّ قطرةٍ من المطرْ
حمراءُ أو صفراءُ من أَجنّةِ الزّهَرْ .
وكلّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد
أو حُلْمَةٌ تورّدتْ على فم الوليدْ
في عالَمِ الغد الفَتِيّ ، واهب الحياة . »
وَيَهْطُلُ المَطَرْ ..